

روايات مصرية للجيب

48

وليام غولدزوين

فاتنازيا

Looloo

www.dvd4arab.com

الغز



(عبير عبد الرحمن) شخصية عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذي نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذي لا يتفوق في الجمال أو القوة أو البراعة أو الذكاء .. لكن لا بد من شيء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها .. ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق .. ثمة أبطال يمتازون بالخط العابر .. ثمة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشيء .. ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة ..

في نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التي أبدعتها قريحة الأدباء والفنانيين والسينمائيين ومصممي الألعاب، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذي يولد الأحلام، والذي لا يصلح إلا لها في الواقع، وبهذا غدت أول مخلوق بشري يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة، بل يشارك فيها كذلك .. ومن البديهي أن (عبير) صارت تنتمي لـ (فانتازيا) أكثر مما تنتمي لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم في (فانتازيا) ..

إن (عبير) كريمة النفس، لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير .. سوف تصحبنا معها .. سوف نعبّر معها عالم

المرأة الساحر مثلما فعلت (أليس) يوماً ما .. سوف تقابل ونحن معها العقري المخيف (دستوفسكي) وتجلس في مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمي) و(أينشتاين) .. سوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخل غليونته الذي أصابه بالسرطان .. سوف تمشي مع (أفلاطون) في بستان مدرسته .. ستخلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة، وتشب مع الرجل العنكبوت من فوق ناطحات السحاب .. ربما تدعها الساحرة الشريرة كي تلتهم التفاحة، أو تهدد العقصلة عنقها، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء، أو تغطس في كرة أعماق الدكتور (بيب) .. ربما تفتح قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المفلول ..

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هي : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هي : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والمرشد الملول الذي يرشدها في أنحاء (فانتازيا) يقف نافذ الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حان موعد قصة أخرى ..

1- كارثة ..

اسمه (زيد) .. وهو عبقرى ..

(صفوت) قال ذلك .. و (صفوت) عبقرى ..

عندما اتصلت به - (زيد) - فى الموعد ، كان عليها أن تطلب الرقم ست مرات ، وفى النهاية أرسلت له رسالة قصيرة تتوسل له أن يرد .. عندما فعل ذلك سألها من هى ..

قالت له إنها (عبير) ..

- « بخصوص جهاز الكمبيوتر الذى .. »

- « يمكنك أن تحضره غداً .. أنت تعرفين العنوان فيما أظن ؟ »

وكاد يغلق الخط ، هنا تصاعد الدم إلى رأسها .. إنه لا يذكر أى شيء عن الموضوع ويتكلم ببرود مهنى يثير الغيظ .. يثير الجنون ..

- « لكن الجهاز عندك فعلاً ! »

ساد الصمت ، ثم سمعت صوت القداحة الشهيرة .. كليك .. كلاك ! ثم :

- « قلت لى ما مشكلته ؟ »

اسمه (زيد) .. وهو غبى .. غبى ، وهى أكثر غباء عندما تصورت أنه عبقرى ..

أخيراً بعد بضع دقائق آمنت بأنه لا يوجد مستحيل .. لقد تذكر القصة كاملة ، ولكنه لم يفعل شيئاً بعد .. هذا واضح ..

- « سوف أسهر عليه الليلة .. صدقنى .. »

- « هذا هو نفس الوعد الذى تلقينته أمس .. »

- « آسف .. لكنها تلك الأشياء .. أنت تفهمين .. »

كلا .. لا تفهم .. مهما كان الطبيب صادق الضمير متحمساً فإنه يبدو بارداً ثخين الجلد بالنسبة لأهل المريض المحتضر .. فماذا عن الطبيب الذى لا يذكر المريض أصلاً ؟

- « والحل ؟ »

- « كلمينى فى الصباح .. »

لم يكن لديها من حل آخر .. سوف تنام وهى تغلى غيظاً .. ترى متى يوجد الزر الذى تضغط عليه فتمر عشر ساعات من حياتك فى لحظة ؟ قمره الغاز التى يدخلها رواد الفضاء ليدخلوا فى غيبوبة مدتها عامان ، وعندما يفيقون يكون كوكب (عطارد) على شاشات المراقبة ؟

لا يوجد حل آخر ..

اسمه (زيد) وهو ممن يصحون عند الظهيرة ..

هذا ما عرفته بعد أن طلبت الرقم ألف مرة ..

صوته الناعس مع الكثير من التناوب .. لا بد أنه في الفراش الآن يحك صدره العاري بأظفاره كأنه مصاب بالجرب .. لا بد أن رائحة النوم تنبعث من أنفاسه .. لا بد أنه يتحسس عويناته الموضوعة على الكومود .. لا بد أنه يبحث عن ..

كليك .. كلاك !

القذاحة .. لفافة تبغ في الفراش كما توقعت تمامًا ..

- « الكمبيوتر .. الكمبيوتر الخاص بي .. (عبير عبد الرحمن)

أنا .. »

- « نعم .. نعم .. لم أنس .. »

ثم تتأهب من جديد وأضاف :

- « لا بد من تغيير القرص الصلب ! »

صاحت في جنون :

- « والبرامج الموجودة فعلاً ؟ »

- « أعتقد أنك ستفقدونها .. »

- « لكنك وعدت بالعكس .. »

- « وعدت بأن أحاول .. وقد فشلت .. هذا واضح .. »

ثم تتأهب من جديد ، وأردف :

- « ظننت أجرب كل شيء حتى الرابعة صباحاً .. لا أجد حلاً ..

هيه ؟ ما رأيك ؟ هل أقوم بتغيير القرص ؟ هناك نوعان في السوق في الوقت الحالي .. أنا أفضل طراز .. »

وراح يصف لها مزايا وعيوب كل نوع ، بينما هي لم تكن تصغي على الإطلاق .. وفقت تعصر جهاز المحمول الذي كانت تتكلم منه عند بائع التبغ ، وبدأت دمة غيظ وعجز تفر من عينيها ..

لقد انتهت (فاتنازيا) .. لا شك في هذا ..

قد قال لها المرشد في المرة السابقة :

- « الحقيقة أنني أجد منك بالقلق والضيق .. من دون (فاتنازيا)

لا وجود لي على الإطلاق .. أنا كائن صنعه خيالك ومن دون خيال ينتهي أمرى .. أنت تتحدثين عن فقدان الحلم .. وأنا أتحدث عن فقدان الوجود .. »

هل كانت هذه نبوءة ؟

نظرة شك من البائع ، والسبب أنها لا شعورياً ابتعدت كثيراً جداً عن مجلسه ، حتى صارت تقف على الناصية التالية .. في النهاية سمعته يصيح في خشونة :

- « إلى أين يا آنسة ؟ لو سمحت لا تبتعدى كثيراً .. »

نظرت له فى عدم فهم فأردف بلهجة من لا يقبل الخداع :

- « منذ شهر فعلت آنسة مثلك الشيء ذاته ثم وثبت إلى أول سيارة أجرة مارة ، وفقدت أنا جهاز (الموبايل) .. المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، وأنا مؤمن .. صدقيني .. »

ورببت امرأة عجوز مفعمة بالأمومة على كتفها ، وهتفت :

- « لا تبكى يا حبيبتي .. غدا يأتيك سيد سيده ! »

- « من هو ؟ »

- « هذا الوغد الذى أبكاك ! »

صاحت (عبير) فى الهاتف لتنتهى الموقف :

- « لا تستبدل القرص الصلب .. سأتصل بك ثانية .. أبق الكمبيوتر عندك ! »

ثم ناولت الهاتف للبائع ونقدته ماله ، بينما قالت للعجوز مفسرة :

- « يريد أن يستبدل القرص الصلب ! لكنى لن أسمح بذلك . »

قالت المرأة ، وهى تمصمص بشفتيها :

- « النذل ! كل الرجال سواء ! فتأخذه مصيبة ! »

ثم انصرفت وهى تنعى ضياع الأخلاق .. بالطبع لا تفهم حرفاً مما قيل لكنه سيئ بما يكفى .. على الأقل هى متأكدة من أنها عندما كانت شابة لم يكن الرجال يستبدلون القرص الصلب أو يفكرون فى ذلك .. أبو (وداد) رحمه الله عاش ومات دون أن يستبدل القرص الصلب ولو مرة واحدة ..

ووقفت (عبير) للحظات غير عارفة ماذا تفعل .. إلى من تذهب ؟ ما أكثر القرارات حكمة ؟

لم تكن سريعة البديهة قط ، وكانت تحتاج إلى أن تنام ليلة على تندير أمرها وتصل إلى قرار صحيح فى أى شيء ، لكنها فى هذه المرة وجدت الجواب بسرعة البرق ..

ربما وجنته والعجوز تكلمها .. ربما وجنته قبل أن تجرى المكالمة الأخيرة مع ذلك الحمار الذى يكسو الشعر أحد ساعديه فقط ..

كان الجواب هو (شريف) !!!!

2- اللغز ..

تقف وحدها وسط العاصفة تتسائل عما أتى بها هنا ..
يقترّب منها المرشد وهو يضم سترته على صدره لقاء البرد ،
ويقول باسمًا :

- « صرت بارعة في المجيء من دون جهاز ! »

قالت وهي تضم ثوبها على جسدها كذلك :

- « لا أدري ما حدث .. اتخذت قرارًا بالاتصال بـ (شريف)
لكنني لم أجسر على تنفيذه .. اضطجعت على الأريكة بعد الغداء
وأنا أفكر في الأمر ، وكانت (شذى) بجوارى تلعب وتفرق ،
وفجأة .. لا بد أنني نمت وأنا غارقة في التفكير .. إن التفكير
والحلم يأتيان من ذات المصنع ويلعبان بالقواعد ذاتها .. فقط
أحدهما إرادي والآخر لا .. يبدو أنني حلمت ، وأني انتقلت إلى
(فانتازيا) لا شعوريًا .. »

بلهجة من لا يسمع جديدًا قال :

- « صار هذا مملاً .. الحلم هو طريقة التنقيث عن الرغبات
المكبوتة .. نمت مشتاقة إلى (فانتازيا) فجنّت (فانتازيا) ..
المشكلة أن هذه الطريقة ليست مضمونة النجاح .. »

ثم أضاف :

- « موضوع الاتصال بـ (شريف) هذا .. يبدو قرارًا ثوريًا
بحق .. هناك عدة عوائق منها أن يكون سمجًا ، ومنها أن يكون
مسافرًا خارج البلاد ، ومنها كرامتك الشخصية .. »

قالت كأنها تقنع نفسها :

- « لا أعتقد أنه سيرفض هذا الطلب .. ليس طفلًا سخيًا لهذا
الحد .. لما كرامتي الشخصية فسأعرف كيف أطلب منه هذا الطلب
دون أن أريق شيئًا منها .. لا يجب أن أتمرغ على الأرض ،
وأبكي وألثم قدميه .. هناك سبل عدة لطلب الشيء بكبرياء كأنك
تمنح ولا تطلب .. »

قال في خبث :

- « أنت أدري على كل حال .. إنه عالم الواقع الذي لم أتعامل
معه فقط .. أعرف كيف أتعامل مع (هاتيبال) و (عنصرة)
و (راسكولنكوف) و (آنا كارنينا) ، لكنني لا أملك أدنى فكرة عن
طريقة التعامل مع السباك أو محصل الكهرباء .. »

- « لا .. هل من محاولات أخرى ؟ »

قالت فى غيظ :

- « أنت رائق المزاج ، وأنا لست كذلك .. فلتقل اسم القصة وتنتهى الأمر .. »

قال دون أن ينظر لها :

- « هذه هى المشكلة .. أنا لا أملك أدنى فكرة عن هذه القصة !! »

- « هل تمزح ؟ »

قال وقد بدا لها عاجزاً مرتبكاً للمرة الأولى منذ عرفته :

- « هناك الكثير من الخلط .. الكمبيوتر تالف وأنت تعتمدين على الجهود الذاتية .. هناك الكثير من الارتباك فى عقلك الباطن .. لا يوجد حجر فوق حجر .. النتيجة هى أن المغامرة قد بدأت لكنى لا أملك أى تصور عن موضوعها .. »

- « إذن أنت لم تعد قابلاً لإرشادى .. »

- « هذا ما يبدو .. »

- « إذن أنت مفصول .. »

فاتتازيا .. للغر

- « أنا لا أختلف عنك كثيراً وتلك هى مشكلتى .. كنت أقرأ الأدب ويُخيّل لى إننى قادرة على أن أقتع (سقراط) بما أريد ، لكنى لم أستطع إقناع أمى قط بأننى غسلت يدي قبل الأكل .. يمكننى التفاهم مع (أرشميدس) لكنى عاجزة عن التفاهم مع موظف السجل المدنى .. »

ثم تذكرت خيط الكلام ، فقالت فى كبرياء :

- « لكنى حتماً قادرة على التفاهم مع (شريف) .. »

- « ليكن .. مرحباً بك فى فاتتازيا .. »

نظرت حولها إلى الوادى الخالى الذى خلا من كل شيء إلا من نباتات شوكية تتقاذفها العواصف .. وسحاب صغيرة من الغبار تحلق من هنا وهناك ..

- « ما هى هذه القصة ؟ هل نحن فى قصيدة (الأرض اللياب) لـ (إليوت) ؟ »

نظر حوله ثم ابتسم بخبث ، وقال :

- « لا .. أعطينى المزيد من التخمينات الذكية .. »

- « هل نحن فى تجربة (ناجازاكى) هذه المرة ؟ »

- « لا .. جربى شيئاً آخر .. »

- « قصة (على الشاطئ) لـ (نيفيل شوت) ، أو أية قصة من عشرات القصص التى تحكى عن بقاء بشرى واحد حياً بعد الدمار النووى ؟ »

- « ربما سرك هذا .. لكن الأمور ليست بهذه السهولة .. أنا جزء من عقلك الباطن قبل أن أكون موظفاً عندك .. لا يمكنك التخلص من جزء من عقلك الباطن وإلا لصارت الحياة أجمل من أن تكون حقيقية .. كان بوسعنا التخلص من كل عقيدنا وتجارب الطفولة التي ما زالت تعذبنا بعد بلوغنا السبعين .. »

تهتت ونظرت حولها وهي تشعر أن الطقس يزداد برودة فعلاً .. ثم قالت :

- « إذن أنت غير قادر على معاونتي في شيء .. »

- « هذا هو الواقع .. غير أن لدى ورقة واحدة هي أن بوسعي أن أقترح عليك حقيقة المغامرة .. سنرى ما تقود له الأحداث ونستنتج .. »

- « وماذا لو كانت هذه مغامرة لم أقرأها من قبل ؟ »

- « مستحيل .. وإلا فمن أين جاءت ؟ »

قالت في امتعاض :

- « هذا ليس عدلاً .. لا بد من فكرة مبهمة عامة عما

سامر به .. »

- « ليست الحياة مطعماً حريصاً على إرضاء الزبائن لو لاحظت هذا .. إن من بتر لغم ساقيه ، والطفل الذي يرتجف في برد الليل جوار جدار مهلم لم يحبا أن يكونا في هذا الوضع ، لكنها الحقيقة .. » صمتت ..

إذن هذه هي اللعبة ..

أن تجد نفسها في مغامرة لا تعرف ما هي وعليها أن تستنتج .. المشكلة الأخرى والأهم هي أن تعرف كيف تعود من هذا العالم .. ربما كان هذا عسيراً كذلك .. لكنها تقبل المخاطرة على كل حال .. حتى لو لم تقبل فماذا بوسعها أن تفعل ؟

3- میدیفال:

جيش المعتدين يتقدم على خط الأفق .. فجأة يتحول الأفق إلى
رعوس مدرعة ورماح مشهورة .. مع الكثير من الهتاف الذي
تترجرج الأرض من هوله ، كأنه تأثير (الدوبلي) في دار عرض
حديثه .. الهدير الذي يجعل معدتك تتقلص ، وقلبك يفوت ضربات ..

- « شورى زوراء ! »

جيش المعتدين يقترب ، ورائحة الحرب والموت فى الهواء ..
ومن بين الصفوف تبرز الأبراج العملاقة .. الأبراج
المخصصة للانتحام بأسوار القلعة ..

وراء الأسوار يقف القائد العظيم ملوحاً بسيفه ..

يركض هنا وهناك على صهوة حصاته الأبيض .. يتفقد رماة
السهم .. يتفقد الفرسان .. يتفقد حملة الرماح ..

كل الرماة يصوبون السهام إلى أعلى منتظرين أوامر القائد كي يتخلوا عن الزناد ، وتحلق أمطار الهول فوق الرعوس ..

كل شيء يبدو على ما يرام ، لكنه كان خبيراً بالحروب .. ويعرف كيف يمكن أن ينهار هذا كله في ثانية واحدة .. نظرية تدعى

قطع الدومينو .. إن هذه الجيوش تبدو رائعة على الورق فقط ،
لكن المقياس الحقيقي هو ما سيحدث عندما يندفع ذلك السيل
العرمرم بينها ..

* * *

وفي خدر النساء كان جو التوتر يأخذ بالقلوب ..

النسوة جالسات ينظرن للسقف ، وبعضهن اتخذ أوضاع صلاة على الركبتين تذكرك بصور عصر النهضة ومادونات (رافاييل) .. طفلة تبكي .. طفل يرتجف .. صوت بطن يتلوى انفعالاً .. لابد من كثير من الاضطرابات الهضمية في هذا الجو ..

وتتظر النسوة إلى باب الخدر الذى وقفت عليه جارية حبشية تحاول أن تعزف على الهارب لتبدد القلق .. يظهر القائد العظيم الذى طالما تنافس عليه فيما سبق ، والدروع تغطيه .. ينظر لهن نظرة ذات معنى ، ثم يتنحى ليظهر فى مجال الرؤية قائد آخر تحت إمرته .. قائد أشقر ملتح ، له عينان تشع منهما النيران ..

يقول القائد الكبير وهو يرمق النسوة :

« لو سقطنا واتحرننا فلا أريد لتسائنا وأطفالنا أن يصيروا
مهبأيا .. أريد أن تذبح كل طفل وامرأة في هذه القاعة يا سير
(ونسلوت) ! »

هز الأشقر رأسه بما يوحى بأنه سينفذ الأمر حرفياً ..

كانت (عبير) جالسة على الأرض على إحدى الطناقيس ، وقد أراحت فتاة أخرى رأسها على فخذيها .. وضع لا مبرر له مع كل هذا التوتر ، لكن خيالها كان يقلد كل ما يعرفه عن مخادع النساء وأجنحة الحريم في الفن العالمي .. (ديلاكروا Delacroix) هو فنان فرنسي تخصص في هذه الأجواء ، لكن (عبير) لا تتذكر الأسماء على كل حال . لا تذكر أى شيء بإرادتها ، فقط تأتيها الأفكار بأسلوب تداعى المعنى ..

شعرت بغيبظ لهذا الموقف ..

النساء ينتظرن هنا إلى أن يأتى لهن الرجال بالتصبر أو الموت .. فى كل الأحوال هن كائنات مخصصة للترفيه عن الرجل ولا دور لها فى تحديد مصيرها .. نفس الكلام ينطبق على الدجاج .. الدجاج خلق للترفيه عن الرجل ولا دور له فى حياته أو موته ..

ومن قال إن الرجال سيجيدون الدفاع عن القلعة ؟ من قال إنهم ليسوا حمقى أغبياء ؟

ربما لو سمح للنساء بالخروج والاشتراك فى المعركة لاستطعن تحقيق نتيجة أفضل ..

فجأة ارتجت القلعة .. وعرفت (عبير) أن أولى قذائف المنجنيق هوت فوقها ..

لقد بدأ قذف المنجنيق ولمسوف يستمر بعض الوقت ، ثم يصرخ الرجال صرخة واحدة وينقضون على القلعة ..

يووم ! قذيفة أخرى !

فعلاً هذه هى مدفعية العصر .. إنها فى مكان مأمون لكنها تسمع صوت صراخ الرجال فى الخارج .. نار ودخان وفوضى ..

سوف يتم افتتاح القلعة .. تعرف هذا .. كل القلاع تسقط فى النهاية مهما كانت بسالة قائديها ، ويبدأ مسلسل النهب والسلب و(بقر بطون الحوامل وذبح الأطفال والأخذ بلحى الشيوخ الأجلاء) كما تصر كتب التاريخ على أن تصف أية مذبحة .. سوف يكون هناك ما هو أشنع ؛ لهذا تدعو الله ألا يتعد الأخ (لاسلوت) كثيراً .. يجب ألا تسقط حية فى أيدي هؤلاء ..

يتواصل قذف المنجنيق ، ثم تدوى صرخة واحدة من عشرات الحناجر .. هذا هو الانقراض ..

لم تستطع أن تظل جالسة حتى تجدهم يقفون عند رأسها كما حدث مع (أرشميدس) .. يجب أن تتابع الحدث لحظة بلحظة ..

هكذا نهضت مسرعة واندفعت نحو الباب ..

سالتها حسناء كانت جالسة على الأرض تغسل قدمي حسناء أخرى :

- « إلى أين يا (تريستان) ؟ »

قالت وهي تزيج المتألم :

- « لو بقيت هنا سأجن .. يجب أن أرى .. »

- « لكنه الموت .. سوف يهوى حجر مشتعل فوقك .. »

- « من يدري ؟؟ قد يكون هذا أفضل ! »

وتسأللت (عبير) عبر ممرات ضيقة لا تضيقها إلا مشاعل معلقة .. بعد دقائق سوف تصير هذه الممرات مزدحمة كأنها أتوبيس (305) ساعة الذروة ..

الكل على السطح الآن .. الكل متحضر .. الأذريتين في ذروة تدفقه حتى إنه يمكنك أن تجمعته في دلو وتبيعه لتناقصي الهمة ..

هناك درج تصعده وهي تعلم خطر ذلك لو هوى شيء هنا والان قلن تعرف أن هذا حدث .. ستموت قبل أن تعرف

لكنها إذ نظرت إلى السماء رأت آلاف السهام تحلق فوق الرعوس كأنها أسراب جراد ، كلها تتجه نحو جيش الأعداء .. الكرة كرتت إذن .. دفقة سهام ثانية .. ثالثة ..

ترى هل لها تأثير ؟ لا أحد يعرف سوى من سقطوا بها . أولئك الذين انتهت الحرب بالنسبة لهم عند هذا الجزء ، وهم يهرون على ركبهم بين الأقدام أغلبهم لن يقتله السهم لكنه سيموت مهشما عندما يدوس عليه إخوان السلاح .

وتنظر لساحة الوغى من بعيد فتري أن الأبراج تقترب في ثبات .. توشك على الالتحام بالأسوار سوف يموت أول مائة من المهاجمين .. ربما يموت غيرهم ، لكن النهاية واحدة على كل حال .. سرعان ما يتمكن البعض من الوثب فوق الأسوار .. وبينما ننشغل بهؤلاء يثب سواهم من فوق السور .. انحرب في القرون الوسطى كانت تقوم على أن يهاجمك ألف فارس . تقتل ثمانمائة منهم . لكن مائتي فارس يصلون لك ويجزون عنقك ..

تدقق النظر أكثر فتري من بعيد قائد الجيش المهاجم يصدر أوامره لرجاله ..

مستحيل !

هذا ليس بشيء !

إنه كائن يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار ووجهه أبيض ما يكون عن أن يكون أدميًا . إنه مشفق علىء بالبروزات والأخاديد وهناك معصات لا حصر لها تتدلى منه في جشع وهذه المعصات تفتش بلا توقف عن شيء تثبت نفسها عليه ..

ما معنى هذا ؟

لقد رأت مشهدا ممثلاً في فيلم (سيد الخواتم) ، وإن كانت لم تقرأه لأنها لا تجيد الإنجليزية إلا في فانتازيا . هل يعني هذا أنها في قصة (سيد الخواتم) ؟ أرض (تولكين Tolkien) الوسيطة المثينة بالآفام والهوبيت ، والتي يهيم بها البعض حبا ، ويراهما البعض خيالات فارغة لا تستأهل أن تمنحها ذرة اهتمام أو وقت . من المستحيل أن تتعاطف مع بطل قصة لا تتماهى معه . ولا يعنيك في شيء أن ينتصر أو يذهب إلى الجحيم ..

لكن لم يكن المشهد كذلك بالضبط . هناك اختلافات كثيرة

(برايان لوملى Lumley) كاتب الرعب البريطاني له عوالم مماثلة مصاصو الدماء الذين يشبهون سادة القرون الوسطى

روايات مصرية للجيب

ويفعلون مثلهم بالضبط ، لكنهم كذلك يمتصون الدم . ولا غرابة في أن (لوملى) أعلن مراراً أنه تأثر بـ (تولكين) .. هل هذا عالم (لوملى) إذن ؟

الآنقر كل اسم سحر (لانسوت) ؟ (لانسوت) و (كاميلوت) وجو الميك آرثر وفرسان المائدة المستديرة من الممكن أن يكون هذا هو الحواب . وماذا عن مصاصي الدماء يا بنت يا (عبير) ؟ لا .. ليست هذه إجابة على الإطلاق ..

لكن هناك أبرخا .. أبرجا علاقة لا يؤثر فيها النهب .. هل نحن فرييون نوعاً من عوالم (صلاح الدين الأيوبي) ؟ في هذه الحانة يصير الفهم عسيراً . لو كان الصليبيون هم المهاجمون فلا يمكن أن يكون الذين تقفين بينهم الآن عرباً .. هل كان بين الصليبيين مصاصو دماء ؟ مصاصو دماء بالمعنى الحرفي لا المجازي ؟

ثم .. لحظة واحدة من فضلك ..

يبدو أن هذا الحصار سيؤدي إلى أن يقتل المحاصرون أنفسهم .. هل هذه القصة هي (الماسدا) ؟ إن هي يهودية ؟ لكن المهجمين ليسوا روماناً وهي خبيثة باترومان بعد ما واجهتهم مراراً في فانتازيا ..

اسمها (تريستان) .. ربما لم يكن هذا اسما عارضا .. ماذا عن أسطورة (تريستان وأزولدا) الجرمانية ؟ أليس هذا واردا بشدة ؟

هل هذا هو ما قصده المرشد ؟ هل هذا هو الوضع المحير عندما تجد أنها عجيبة عن معرفة مكانها ؟ إن رأسها يكاد يفجر . وفي كل مرة تحملها الأسنلة إلى نقطة البداية هل هذا عالم (سيد الخواتم) ؟ إذن . إلخ . إلخ . (تريستان) ؟

وبينما هي غارقة في هذه الأسنلة شعرت بألم حارق في قدمها ..

نظرت لأسفل لتجد أبشع كوابيس طفولتها قد تحققت . سهم سقط عموديا ليخترق قدمها ويثبتها في الأرض بحيث عجزت عن الحركة تماما !

4- فارس وسيم وبعض القنزعور ..

الكثير من الألم . الخوف من مضاعفات حرج كهذا . ترى هل يسهل الإصابة بالكزاز (التيتانوس) ؟ سؤال سخيف طبعا . هي ليست ذات خبرة طبية لكنك تحتاج إلى أن تعيش فترة كافية كي تجد الوقت الكافي للإصابة بأي مرض على كل حال !

فألا ضمن لـ (عبير) للحياة ساعة أخرى .. نصف ساعة بل بضع دقائق وسط هذا الهول ..

لقد التحم أول الأبراج بالسور . وكان انطباقه متقنا بحق كأنه قد خلق ليوضع هنا . ووثب منه عشرة من الجنود .. كما توقعت طارت أعناق هؤلاء بسهولة تامة ..

الزيت المغلي - الصديق الصدوق لقلاع القرون الوسطى - يحمل في حرار عملاقة إلى الحراس الواقفين على الأسوار فيسكبونه على رءوس المهاجمين . لا تسمع سوى صوت لـ (طش طش طش !) ثم يتعالى الصراخ المريع ..

رباه ! كانت الحروب تقتضى شجاعة لا بأس بها في تلك الأرملة .. كانت تقف هناك وقدمها مثبتة في الأرض ، تنتظر مصيرها كبطة فخور .. لولا ذلك الفارس المدجج بالدروع ، والذي يغطي

يهودية حسناء ؟ لا .. ليست قصة الماسادا إذن .. هناك موقف شبيه بهذا فى رواية عملاقة قرأتها منذ أعوام برغم ما فيها من مثل .. (إيفاتهو) . قصة سير (والتر سكوت) . فهل هذا ما يحدث الآن ؟

تجربة عجيبة هى أن ترى العالم وأنت نائم على بطنك بل تعرض فوق خصر حصن . ترى أقدام الحصل وترفع عينك من أن لآخر لترى الأرض تجرى ، لكنك لا تستطيع أن تقوس ظهرك أكثر من هذا . الوثبات والاهتزازات توشك على أن تجعلك تفرغ أمعاءك وربما رثيتك وربما روحك ذاتها فى أية لحظة ..

« أنت لست زبوناً فى مطعم .. »

قلها المرشد من قبل وكان دقيقاً إلى حد لا يوصف .

الأمر على كل حال هين . واضح أن هذا الفارس قد فر بها عبر ممرات سرية خارجاً من القلعة المحاصرة ، وربما من البلدة ذاتها

لكن من هو ؟ يصعب أن تعرف من هو وهى فى هذا الوضع كأنها خروف مسوق إلى الذبح أو كيس من اللحم ..

سمعتة يقول :

« كان من حسن الحظ أننا اخترنا الفرار الآن . »

روايات مصرية للجيب

31

وترفع رأسها قليلاً وتتنظر إلى الوراء ، فتري أن الأفق تحول إلى شعلة من النيران والدخان الأسود .. المكان الذى كانت فيه تلك القلعة يعلم الله ما اسمها صار محرقة .. والمحرقة سوف تغدو رماداً بعد قليل ..

تري هل هنكوا ؟

(ونسلوت) . هل ما زال هناك ؟ وماذا عن باقى الحريم ؟

أوقف انفرس جواده وترجل وشعرت بيده القوية تمسك بقدمها . ثم . آى .. أعنف لم يمكن وصفه آى .. أوه . آه . آى . لقد انتزع السهم من قدمها مستعملاً أداة تشبه (البنسة) . ثم وجدت لها تجلس على العشب . وترى العالم للمرة الأولى فى وضع صحيح ..

كان الدم ينساب من قدمها بغزارة ، لكن هؤلاء الفرسان لا يواجهون مشكل من أى نوع . لقد أعد ضمادة ملأها بأعشاب عجيبة استخرجها من سرج الجواد ، ثم ربط قدمها بعناية

قال لها :

« إن عشب (القنزعور) سيوقف النزف فوراً ! »

كانت وثقة من شيء واحد . هذا العشب له أى اسم ممكن عدا (القنزعور) هذا . هى مجرد هلوسة أخرى من هلاوس (فاتنلزيا) ..

ولكن من أنت أيها الفارس؟ نوع الفارس الذى ينقذ الاميرة على حصان ابيض .. اى انه باختصار مادة الحلم الخدم لدى الانسى .. الأحلام لدى الانث تصنع من الخيول البيض وفرستها ..

كان وسيمًا والحقيقة أنه كان يحمل بعض ملامح (شريف) هذا متوقع على كل حال ، ألم تبدأ المقامرة و(شريف) هو المنقذ على الأرجح ؟

قال وهو يفك خواتمه ، ويفك ألف شيء فى دروعه حينئذ منه رنين كأجراس دقيقة متصلة :

- « سوف يحرقون جنث القتل وربما الأحياء كذلك فى كومة كبيرة ، ثم يقضون الليل على ضوء هذه الشعنة العملاقة فى اللهو وشرب الحمر وانتهاك حرمة النساء . من الخير لك أنك فررت ! »

قالت فى عصبية :

- « من هم ؟ »

لو قال إنهم التار لشعرت بأن الأمر سخيف ، لأن المهاجمين لم يكونوا يحملون صفات التار .. هل هذه القصة من وجهة نظر عربية تصف الحروب الصليبية من المعسكر الآخر ؟ على الأقل أنت تعرف ما سيكتنه عدوك منك . لا تقرأ قصة كتبها مؤلف إسرائيلي عن حرب 1973 ثم تتضايق لأنه يتهم المصريين بأنهم وحوش .

لكن فى جميع الأحوال لم يكن هؤلاء المهاجمون الذين فرت منهم يحملون صفات العرب ..

كررت السؤال :

- « من هم ؟ »

قال وهو يمسد على شعره لاهئًا :

- « إنهم الإنجليز طبعًا ! »

كادت تجن أن من نحن ؟ وفى أية قصة قرأت أحداثًا كهذه ؟ (جان دارك) مع (جان دارك) لا تتحرك الأمور بهذه الكيفية دعك من أنه سيكون عليها أن تحرق وسط الجموع .. هى لم تجرب هذا من قبل لكنها لا تحسبها تجربة رائعة ..

تهتفت فى ضيق ، وقالت

- « بينى وبينك لقد بدأت أمل هذه المقامرة .. أنا لا أفهم أى شيء على الإطلاق .. »

هنا حدث شيء غريب .

لقد ادرك الفارس ظهره لها وجلس فى وضع الاحتباء .. لا ترى الاكتفیه العملاقين تهتران .. تهتران هنا فهمت ! إن فارسها المغوار بيكى !

زحفت على ركبتيها حتى بلغت على كتفه ، ففوجئت به
بستائر ليمسك بكم ثوبها ، ماذا تفعل يا محنون ؟ لقد مرقت
جزءاً منه .. ثم ..

ف ف ف ف !

أفرغ معظم افرزات أنه في الخرقه ، وكومها ونفاها بعينها
- « معذرة ! لا استطيع أن تسخط من دور مدين » -

وطيف الفرسان الشجعان لا يحملون هذه الثقافات كالمبادل
انهم يتمخطون في أكم الاميرات الحسنات
- « لماذا تبكى ؟ هل أدبت مشاعرك ؟ »

- « نعم ان القصة لم ترق لك برغم كل ما وضعوه فيها
من إثارة ! »

ثم عنه انبكاء من جديد ممزق قطعة أخرى من كمها الآخر
نيتة يتعجب على حرته قبل أن يتحول ثوبها إلى كفولة طفل !

5- حيرة شبه بالفة ..

إنها تمشى في أزقة (المغربين) متأودة .

لا تريد أن تتأود ، لكن هذا الشبشب للعين يرغم خصرها على
هذه الرقصة الثعالبية . لا تريد أن تتأود لكن الملاءة اللف
المحكمة ترغمها على ذلك لا تريد أن تتأود لكنه اللادن في
فمها يرغمها على ذلك ..

تمشى في هذه الأزقة ، عارفة أنه ما من صناعي ولا قهوجي
ولا حدق إلا وتوقف عن عمله ليرمقها في اعجاب ويتنهّد
إنها الحسناء .. إنها الحب والجمال ..

صف من الجنود الإنجليز السكارى يعيشون مشية هي للرقص
أقرب .. لم ترهم منذ .. منذ 1919 !

منذ اللحظة الأولى تعرف أنهم سيعرضون طريقها . من
القريب أن تروق لهم لابد أنهم يرونهم مدينة أكثر من اللرم
لا تمت بصلة لفتياتهم الشقراوات الحائيات من الشحم ، لكن
الخمر تذهب بالعقول ، وهم ثملون ..

فوجئت بهم يشكون صفاً أمامها . ويقتل أحدهم مشيتها بطريقة
كوميديّة ..

- « سوفتى بنت .. سوفتى بنت ! »

باعتبر هذه قمة البلاغة فى اللغة العربية . الحصى من هؤلاء لا يعرف من العربية سوى كلمة (بنت) وكلمة (نقشب) ..

تراجعت للخلف خطوة ، فاكشفت أنهم صنعوا صف خلفها يمنعها من التراجع ..

إنه لمازق إذن !

هنا حدث ما لم تتوقعه فى زمن كانت دماء الرجال فيه حارة لقد أشعل المشهد حماس الصناعات وجنونهم وسرعان ما برز من المتجر عدد من هؤلاء الصبية يحملون المقاعد والمناضد الصغيرة ، وهوا بما يحملون على رؤوس الجنود . وظهر من مكان ما عملاق أسمر يلبس فائلة داخلية وعمامة ، وانطلق يغرس أنامله فى أعناق هؤلاء رافعا كل اثنين فى الهواء لثوان قبل أن يلقي بهما أرضا ..

إنها الحرب إذن ! وهى السبب !

النسوة فى الشرفات يلقين بماء الخسین القذر - أو المعلى - فوق أى جندي يسقط تحت مجال قذائفهن . مع الكثير من السباب :

- « أيها الكفرة الأجاس ! ما لكم والنساء يا أولاد الـ ؟ »

حتى الأطفال راحوا يطلقون نبالهم الصغيرة على العيون الزرق . ومن موضع ما دوت صفارة طويلة حادة . وسرعان ما ظهر رجال الشرطة .. منهم المصرى والبريطانى ، وانطلقت العصي تضرب فى كل اتجاه ..

هرعت (عبير) تتوارى تبأ لهذا الكعب ! فى مدخل بداية وراحت تلهث مفكرة ..

لو لم يكن هذا عالم (نجيب محفوظ) وهذه رواية (زقاق المدق) فهى لا تفقه شيئا .. إنها (حميدة) على الأرجح ..

لكن .. على الأقل هذه قصة معروفة ، وكانت تتوقع أن نجد نفسها فى عالم (نجيب محفوظ) يوما ما .. لو لم تدخله لشعرت بأنها خدعت ، هى التى لم تجرب من تلك العوالم التى هى قلب محراب الأدب إلا عالم (مستوفسكى) .. لكن المرشد كان يقول لها إنها ستدخل عوالم هؤلاء الأدباء الكبار يوم تتضح بما يكفى . أتراها نضجت حقا ؟

تتهدد واستندت إلى الجدار فقط لتشعر كأن كلب (سان برنار) أو تتين (كومودو) يلحق أناملها .

أجفنت ونظرت لمصدر هذا النعاب ، فوجدت أنه رجل ضخم يلبس فائلة مخططة من التى يلبسها الفتوات واللصوص ، وعلى رأسه طاقيّة لا داعى لها ، وقد أحاط ساعديه بأساور الحديد إنه على ركبته يلثم يدها ..

تراحعت إلى الخلف . فقال في هيام بصوت كقرصة ماء يتم
إفراغها :

- « متى تتأزبن عن كل هذه الحيلاء يا (حميدة) ؟ إن الدلال
كالمئج قليله يصلح الطعام وكثيره يسقم »

قالت له وهي تتلفت حولها في دعر :

- « أنت تعرف أن معنك لن يصفح غنا ب (شطا) ! »

(شطا) ! للمرة الأولى تدرك أن هذا (شطا) . ما معنى
هذا ؟ (شطا الحجري) هو بطر قصة (نحيب محفوظ) المدعوة
(الرجل النسي) و نسي قدمتها السينما باسم (الشيطان يعظ)
ان هي هي قنب عدم فتوات (نحيب محفوظ) . كل هذا جميل
لكن لماذا هي (حميدة) ؟ ولماذا تحتفظ القصة بهذه الصيغة
الكثيفة من (زقاق المدق) ؟

في هذه لحظة نوتر (شطا) ثم راته يصلح القسوة على
رأسه ، ويهمس لها :

- « ابقى هنا .. »

وسرعان ما غادر مدخل البناية ..

نظرت (عير) من موضعها إلى الشارع ، لترى أن هناك
ظاهرة غريبة تولد ..

صف من الرجال ضخام الأجساد يحملون التبايت يتقدم يقف
في تحد ومن جهة أخرى يأتي صف آخر من رجال ليسوا
أفضل حالا يقفون . وهم يضعون التبايت على الكتف مثل
الطريقة المعيرة للسقنين

انها موجهة إلى رب لا ينقص الأمر إلا موسيف (السو
موريكوني) الشجية ..

يتفعل نهر النسوة ويعقن الوافذ . والمقهي عايرها من نه في
لغوة ليتصم إلى حيثه . سيم أعق القهوجية لتفهي على الشين
الأطفال توارى كس منهم في ركن وراح يتابع ما سيحدث
بعينين وسعتين هذه هم ذكريات سحفر في وحده ونسوة
يحملها معه ابدا كرمز للقوة والرحومة بعد عشرين عام
سيكون عدد سهم بين هؤلاء من حاسي التبايت

ومن بين صفوف الرجال يخرج أعظمهم وصخمهم وهو يحمل
نبوت على كتفيه بطريقة السقاء تك . ويشمخ بصره أمام
الجموع من المعسكر الآخر :

- « هلم يا (ديناري) ! أرني نفسك ! »

ثم وضع بعض التوبل التي تشعل الجون في عروق مناسه :
- « أم إلك خائف كالفار ؟ »

من بين الصفوف المواجهة خرج رجل قريب منه فى الحجم
والسمات ، وقال بصوت ارتج له الحى :

« (الدينارى) لا يخاف ولكن يضمنز ا »

هذا هو المشهد التقليدى فى كل الثقافات .. فى كل أفلام
(سيرجيو ليونى) الايطالى .. فى أفلام الساموراي . القوة
المجردة العاتية تواجه قوة مجردة عاتية . عندما كان الرجال
رحلاً حفاً ، لم يكن هناك وزن لألعاب اللسان والديبلوماسية
والخداع . دحك من نبل منظر قائدى الجيش يتواجهان أمام
الجند . وهو المشهد الذى تعج به قصص حصار (عمورية)
و (الإلياذة) .. إلخ ...

لقد افتن (نجيب محفوظ) بعالم الفتوات ، ومنه وثب إلى
سموات أخرى من الرموز والتضمين والتلميح .. إن الفتونة عند
محفوظ هى سالتأكيد أكبر من مجرد رجل ضخم يحمل نبوتاً ..
هذا الموضوع يحتاج إلى ..

أى لا وقت للكلام لأن الرجلين يصطرعان .. النبوت بهوى
كأنه الجبل فوق رأس أحدهما فينقيه بنبوته الخاص ، وعينه
لا تفارقان عينى خصمه فى خبرة وفهم لما يجرى ..

لحظات ملحمية .. أكبر من الواقع .. أكبر من الحقيقة ..

الرجلان يتبادلان الفخر والجعجة ، ولا يكف كل منهما عن
ترديد قصائد المدح فى نفسه ..

إنهما يدوران حول بعضهما .. إنهما يقتربان .. يتعدان .

فجأة شعرت بأن يذا توضع على أنفها ..

اليذ تحمل منديلاً ملوثاً بمائل له رائحة كيمائية نفذة ..

رائحة أسيتون كالذى تنزع به الطلاء عن أظفارها .

لم تكن تعرف شيئاً عن علم الكيمياء لكنها أدركت أن هناك ذرة
كربون وثلاث ذرات كلور وربما ذرة هيدروجين CHCl_3

إنه الكلوروفورم !

لهذا تزداد الدنيا سواداً .. ولهذا تنهاوى ساقاها . ولهذا
يصير التفكير كأنه حنوى ذاتية .. لزجة . متداخلة يصعب أن
تتحرر منها أو تخرج بشيء ..

يمكن أن ندرك أن هناك من تسلل وراءها وخدعها بالكلوروفورم
بينما هى تراقب المشهد ..

لكن من هو ؟

ولماذا ؟

وكانت في ألف ...

وكانت في الفراش مقيدة ..

وكانت في فراش مقيدة في وضع السر الفـ .

وكانت في الفراش مقيدة في وضع السر الفـ جناحيه .

هكذا بدأت تستعيد وعيها ببطء . والصورة المتورة بدأت تكتمل

ونظرت حولها ..

إنها في مصر كم هو واضح . وغائب هي في فندق فاخر مما
يومه العرسون . فندق فيه طمع أوائل القرن العشرين حيث كل شيء
ساح فاحر مصنوع بدقة وعناية . والإضاءة تعتمد على مصابيح
الكبروسين . باختصار هو ذات الزمن الذي رأت فيه صراع النفوت

وكان يقف هناك جوار النافذة الموصدة ..

تلك الرجل أشقر الشعر ، الذي يقف بالقميص الأبيض وحممتي
السروال ، وهو يعقد ربطة عقه الرفيعة التي تسمى ذلك العصر

بمستط شاربه ثم ينتفت لخلف يراها فيشرق وجهه

يقول لها بالإنجليزية حيدة تعهما على الفور .

- . معدرة على الطريقة التي استعملها إن هذه المدة تدعى
(كوروفورم) وهي اختراع بريطني . احتفظت لأن ملاكم المرحمة
الحالية من الضارب لا تسمح بذات الطفوس التي اعتسها في بلادى «

أرادت أن تتكلم ثم أدركت أنها مكمنة . مف مف مف

كن يعبث في صندوق صغير يحمله . يضعه على التصد ، ويتفحص
محتوياته كأنه ممرضة تعد أدوات جراحية قبل قدوم الجراح

- « لم تعد الظروف في (لندن) تتيح لى حياة سهلة . لذا
قررت أن أتى الى بلدكم الدافى لا بأس ان أحرب مواهى مع
حسناء سمراء مثلك .. »

مواهبه ؟ ماذا يعنى ؟

« كأنه ممرضة تعد أدوات جراحية .. »

خطر لها هذا التعبير ولم تنتبه له . لكنها الآن تجد أنه اق
وصف ممكن ..

إن ما يمسك به هو أدوات جراحية تذكرها بنت المحصصة
لتشريح الصفدع . والتي كانت تباع في المكتبة عند أول شارعهم

قال وقد أدرك أنها فهمت :

- . في إنجلترا لا أحد يعرف اسمى . يطلقون على اسم
(جاك السفاح Jack the ripper) وهم الآن يقيمون وسط
الشوارع التي يخفيها الصاب على . لا يحظر سأل أحدهم أتى لها
في مصر . وأنى أمارس هوايتى فى قتل النساء وتمريق حثهن
بنجاح تام . لفرق الوحيد هو أن أحداً لن يلقى بفقد فتاة مصرية
بينما تهتز (سكوتلاندير) لفقد فتاة شارع بريطانية ! «

(جاك السفاح) ؟ وسط قصة من فتوات (نجيب محفوظ) ؟
 ما هذا بالضبط ؟ ربما لم يكن لـ (محفوظ) دور من البداية ؟
 ربما هي رواية غربية عالمية عن سفاح نساء .. فى قصة
 (نعطز) لـ (زوسكينز) كان البطل يقتل الفتيات النضرات كي
 يسمع من رواتهن عطرًا لم يعرفه البشر من قبل .. لا .. ليست
 هذه قصة العطر .. الرجل قال بوضوح إنه (جاك السفاح) ..
 من هناك رواية بطنها (جاك السفاح) ؟
 لوح الرجل بالمبضع فى الهواء . لامعا مخيفا يتقدم نحوها ..

ومالت الصرخة على شفتها ..

6- هو ..

إنها تجلس فى غرفة مكتب ضيقة ..

فوضى عامة من الأوراق وأعقاب لفتاف اتبغ وشرائط الكسيت
 المبعثرة ثمة جهاز كمبيوتر مفتوح وعلى شاشته بصر شلال
 على أن يتدفق للأند هناك كويان من الشاى فارغان ، وهناك
 كومة من مناديل ورقية غير مستعملة . كان هذه الغرفة
 مخصصة لاستعمال خرتيت ..

جدران الغرفة فى أسوأ حال . لونها خليط من الغبار وتلك
 النعنة الصفراء التى تصيب الدهن الأبيض

المكتب ذاتها متنوعة منها كتب عن النقد الأدبى ، وكتب عن
 الشخصيات العالمية ، وهناك موسوعة أو اثنين . لكن الحقيقة
 التى لا تفارق من هم مثله هى أنهم لا يكملون أى كتاب فى
 حياتهم فقط يفتحون الكتاب ويحضرون القلم الرصاص ،
 ويحسبون ويبدعون القراءة فى حماس واضعين عشرات الخطوط
 والتعليقات ، ثم ينتهى الحماس وينسون كل شىء بعد ثلاث
 صفحات يعود الكتب بشكل ما إلى رف المكتبة ، وينسون أنهم
 لم يكملوه ربما يحملون ذكرى شبحية عن قراءته

أمام شاشة الكمبيوتر يجلس ذلك الشاب العصبى الغاضب منكوش الشعر . من أن لآخر يحك شعره فى شراسة كى هذه طريقة معترف بها لاستجلاب الأفكار ..

يمد يده لعلبة التبغ التى هُتمها بقبضته من قبل ينزع لفافة ويشعلها . لم يقلع عن التحسين كى لم يفعل أى شىء آخر وعد نفسه به ..

يفكر يتحمس يغلو صدره ويهبط . يساق على المفاتيح قليلا

إنه قد صار ممن يستعملون الكمبيوتر نكتة . إنها برغم كل شىء طريقة رخيصة بطيئة لا تكفى ثمن الحبر وقدرته لا تكفى ثمن شريط الآلة الكاتبة لا احد يتداول أوراقا مطبوعة هذه الأوراق سوف تنتقل الى القرص الصلب لدى أحدهم كل شىء رقمى لا يستهلك أوراق إلا فى المرحلة النهائية بحق

برغم هذا هناك أوراق متناثرة يبدو أن الرجل يستعمل الطريقتين معا ..

ينظر لها فى حيرة ثم يقول :

« لم لا تندمجين فى القصة ؟ إنها جيدة .. »

فكرت قليلا . ثم قالت محاولة ألا تجرح مشاعره .

« جيدة لكنها خالية من الأصالة لو أنك وضعت قصص (رفاقى نمدق) و (ابفتهو) وفرسان العائدة المستديرة و (روبى هود) وكتبات (براين لومنى) و (سيد الخواتم) لو أنك وضعت هذا كله فى حلاط وتركته يعمل عشر دقائق . أخرجت لك قصة مماثلة .. »

« لم تتضح الأحداث بعد .. »

« هذا ما لاحظته . لكنى فقدت اهتمامى لأن الموضوع تحول الى (حضيضة) فتاة يتحرش بها البريطانيون فتقوم عركة فى الحارة . وتلجأ الى مدخل بنية ترى مواجهة بين الفتوات . وهما يحتفظها (جك السفاح) و لو كانت هذه طريقة للمراح فأت لم اتوقفها . ولو كانت قصة فعلا فب لم أعش أحداثها »

راح يداعب أزرار الجهاز فى ضيق ثم قال

« لا أعرف ما أقول . لكنى أعتقد أن مزاج القارى يحدد تاريخ الأدب فى مصر . لو فرضا أنك مصيبة بيمسات أو أنك فى حال نفسية سيئة فلربما .. »

قالت فى ضيق مماثل :

« نظرية طيبة . لكن معناه الحتمى هو أن كل الأعمال الفنية تحف رائعة متقنة فقط بقارى احمق مضلل »

التمعت عيناه وقال في حماس :

- « ألا ترين أن هذه هي الحقيقة ؟ »

- « بالطبع نعم لا أرى هذا على الأقل أنت لم أحب مغامرة القرون الوسطى تلك . ولست مصابة بالامسك . »

نظر لها للحظة متابعاً هذا المنطق يبدو أنه وجدته سئماً بالفعل . لأنه مد يده ومسح ملفاً .. رأت (عبير) الصورة المميزة للاوراق نظير في الهواء لتسقط في سلة المهملات

ثم بدأ يكتب من جديد ..

عندما عرفت (عبير) (عماد النوني) أول مرة لم يكن يستعمل الكمبيوتر ..

عرفته جيداً جداً وكأعمق ما يكون . وبرغم هذا لم تقبئه مرة واحدة هذا هو دين الكاتب الذي تشهر بأنه يحنس معك جنسة خاصة همسة ليفضي لك بأدق أسرارهِ إنه معك في مكتبك . في الفراش . في كل مكان . إنه منك ويفهمك حتى تتصور أنك لو قابلته في شارع مزدحم لعرفت أنك بدأت تلك الفكرة الرومانسية التي عذبت قلوب كثيرات من المعجبات بلاديبي الوسيم (إحسان عبد القدوس) ..

لكن (عبير) لم تر (عماد النوني) من قبل . ولم تختصه بأية خواطر رومانسية ..

القصة بدأت عندما ذهبت لعم (زكى) بائع المجلات القديمة لتبائع زادا من الأحلام كالعادة .. لولا عم (زكى) وامثاله لما استطاعت أن تقرأ كتاباً واحداً .. بل لما عاشت يوماً جديداً ..

عم (زكى) كذلك يعرفها ويحتفظ لها بالجديد . ولا يدقق معها في السعر لأنها :

- « منعوضة ! منعوضة المرة القادمة .. »

مع الوقت يصير هؤلاء القوم جزءاً من الكتب ذاتها .. لا بد أنه في زمن ما جلس مع (ماكسيم جوركي) و (ويلز) و (جوناثان سويت) و (يحيى حق) ...

لا لم يكن هذا الأخير وهماً .. كل أدباء مصر في القرن العشرين مروا على عم (زكى) في وقت ما ، وهو قادر على أن يحكى لك الكثير عن (يحيى بك حق) قصير القامة المذهب اللبيع ذى الدعاية القوية و ..

هذه المرة كانت هناك رزمة من المجلات الفنية ، وقد ابتاعها (عبير) بسعر مفر ..

فى البيت فرغت من اعداد طعام الغداء مع أمها . ثم جئت على الأريكة حوار (شذى) تتصفح تلك للمجلات بطابعها العتيق المحبب .
زواج (أنور وجدى) و (ليلي مراد) . الاعنية الأخيرة للأنسة (أم كلثوم) يحصرها الشاعر الشاب (أحمد رامى)

فحة وجدت مجموعة من أوراق النفوس كذب غير المسطرة مدسوسة بين صفحات العجلات . أوراق دشت رخيصة انمن من التلى يحب الصحفيون الكتابة عليها ، وتشرب الحبر كاتها ورق نشاف . وعلى الأوراق بخط جميل انيق . وبحبر حاف اسود قل أن تراه هذه الايام ، قرأت كلمات :

غادة القلعة

رواية تاريخية اجتماعية

بقلم (عماد التونى)

فتحت الصفحة الأولى التى تحمل رقم (1) فى انهامش لغوى وبدأت تقرأ « دت جيوش الأعداء عبر خط الافق وعرف المحاصرون فى القلعة أن اليوم هو الأخير لقد حنت السمعة »
إن صاحب المعمة السبق أديب أو يحسب نفسه كذلك ولكن ما سبب عدم اليقين ؟ يقولون : هو ذا الجمى وهو ذا الجمال فلنقرأ ولنر ..

7- أديب ولكن ..

لم يكن سيبا بالتأكيد لم يكن سيف .

لكن وهذه هى المشكلة لم يكن جيذا ..

انه يكتب مثل أى شخص آخر ، والقصة تدور كم يحب لها ان تدور لغة متمسكة . ما من أخطاء لغوية .. من الواضح أنه كان ينال أعلى درجة فى امتحانات التعبير فى المدرسة .. هذه السعة الجزلة عديمة اللون والرائحة والطعم التى تدور لكبار لغة (السيارة تطوى الأرض طيا) و (الأسد الهصور) . لكنها تفكر الى هذا الوهج المجنون المدعو (ابداع) . الشيء الذى يجعلها تختلف . الشيء الذى يجعلك لا تتسى القصة وتشعر بأنك عاجز عن كتابتها ..

يحصر كى يكتب بطريقة (تخرج عادل فى كية اطب فصر طيبا لها يشر له يتنان) أو (وثقا عهد حبهما بقبة طويلة) .

لقد كتب ست صفحات انتهت بهذه العبارة :

« وبدأ يفت دروعه الثقيلة وهو ينهت . بينما راحت تنظر له فى إعجب وصدرها يغى ويهبط ثم نظر لها وقال «

فجأة تنتهى القصة هنا ..

لن يعرف القارئ أبداً ما قاله ذلك الفارس بعد ما فك الدروع .

والمشكلة هي أنك فعلاً لا تهتم بمعرفة ما قيل . لو حسب المؤلف أنك ستبكي وترتمي على الأرض لتضربها بقبضتيك متوسلاً ، فهو مخطئ ..

وجدت ورقة بيضاء بعد هذا ..

ثم ورقة أخرى على غلافها عنوان :

السفاح في مصر

رواية بوليسية تاريخية

بقلم (عماد التوني)

فتحت الصفحة الأولى وبدأت تقرأ :

- « كانت (حميدة) تهرع عبر شوارع القاهرة القديمة قصدة دار خالتها .. »

وهكذا تمضي القصة بين تحرش جنود بريطانيين وقتال وصراع فتوات ، ثم تخدير و (جاك السفاح) الذي فر من بريطانيا ليحرب حظه مع بنت مصرية .. وتنتهي الصفحات بعبارة .

« وسقطت الخرقاة المبتلة على أنفها فلم تعد تشعر بشيء .. »

ثم كتب بالقلم الرصاص وبخط متعجل :

.. « هذا هو ذات عصر (ريا وسكينة) .. ربما كان ممكناً أن نقحمهما في الأحداث ، بحيث يعمل معهما (جاك السفاح) .. »
كان هذا سخيلاً إلى حد لا يصدق .. لحسن الحظ أنه لم يفعل ..

بعد هذا وجدت مجموعة أخرى من الأوراق في مجلات أخرى .. كل الأوراق تحمل ذات الخط وذات الكتابة بالحرير الأسود .. هناك قصائد شعر .. هناك سيناريو مسلسل تلفزيوني يتحدث عن أسرة مصرية عادية ، تطرف ابنها فترك الجامعة وانضم لجماعة متطرفة ، حيث الكل يلبس الجلاب ويحمل الجنزير ، ولا عمل لهؤلاء سوى تفجير حافلات السياح ..
طبعاً لم يكتمل أي عمل .

في كل مرة يكتب بضع صفحات ثم يتوقف ..

هناك صفحة يحدد فيها لنفسه جدولاً زمنياً ليصير رائعاً :

1 - الإقلاع عن التدخين خلال شهر .

2 - المواظبة على الصلاة خلال أسبوع

3 - الركض صباحاً ولعب الرياضة ..

4 - الوصول لمستوى ممتاز جسدياً وعقلياً ودينياً .

5 - كتابة 40 قصيدة ومسلسل تلفزيوني مع أربعة أفلام وستين قصة قصيرة خلال شهرين .

6 - تعلم الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية خلال هذا العام

7 - الزواج من (غيداء) .

كل هذا جميل ، والطموح ليس بالشيء المقيت ، لكن لابد أن تكون خطط المرء متمسكة مع الواقع . « كتابة 40 قصيدة ومسلسل تلفزيوني مع أربعة أفلام وستين قصة قصيرة خلال شهرين » . هل هو خط تجميع في مصنع للبطاطس المقلية ؟ الأمر لا يتعلق بالليمون بل يتعلق بعملية اداعية معقدة ديوان (كامل الشناوي) بقصائده القليلة جدا استغرق الشاعر عمره بالكامل (اميلي برونتي) لم تكتب سوى رواية واحدة ذات بال هي (مرتفعات وذرنج) . (سرفانتس) لم يكتب رواية مهمة في حياته كلها سوى (دون كيشوت) ..

وما هي صفات العقل الذري الذي يتعلم الاصحورية والفرنسية والإيطالية والألمانية خلال عام ؟

كيف يعاهد المرء نفسه على (الوصول لمستوى معتر جسديا وعقلي ودينيا) ؟ يمكن ان يتعهد بأن يحاول لكن هذا الفتي لولا بقية من تعقل يوشك أن يعاهد نفسه على أن يدخل الحنة ، ويضع جدولاً زمنياً لهذا ..

كانت هناك ورقة أخرى كتبت بذات الصيغة عدة مرات :

حبيبتي غيداء :

كلمات كثيرة يجب أن يقال منذ رحيلك عن مصر . تلك الزيارة التي كانت حلم حقيقياً لا يفارق ذكرياتي . أعرف أنك أحست الهم والنيل وتوقعت أن تحبيني أكثر لكنك لم تقولي هذا ولا أعرف إن كنت فعلت أم لا لكننا تواعدنا على أن نهني أعمالنا هنا والحق بك في (حلب) ..

بانتفن رتبت أموري لأني أعرف أنني لن أعود ثانية ، وهناك قائمة كبيرة من الأعمال التي على أن أقوم بها ، وأنا أعرف جيداً أنني قد سر على النجاح . هناك ألف مشروع في ذهني ، وأعرف أنني موهوب فعلاً وأنني فقط بحاجة إلى فرصة واحدة

أعرف أن هناك أشياء عديدة لم ترق لك ولم ترق لأخيك حبيبتي ليست هي الحياة التي تناسب أخا يتمنى أن يجد حياة هائلة لأخته ، وأعرف أنه لم يحب الفوضى في غرفتي ولا تدخليني المفرط . ولا بعدى التام عن الرياضة أعرف هذا جيداً .

لقد رارني في المكتبة التي أبيع فيها الكتب الدينية ، ولم يبد راضياً لأنها مهمة غير منتظمة .. في أي يوم يمكن أن يطرديني صاحب العمل . أعرف هذا . لكن الشيخ (محيي) رجل طيب ويعرف أنني أعتمد بالكامل على المبلغ البسيط الذي أحصل عليه من المكتبة أعرف أنني سأمارس عملاً مشابهاً في سوريا .

لكنى أعرف كذلك أن بوسعى أن أنجح وأن نشق طريقنا عن طريق كتابة المسلسلات والأفلام .. إن سوريا نشيطة فى الإنتاج الدرامى وهم بحاجة إلى مؤلفين دراميين مثلى ..

صدقينى يا (غيداء) الحبيبة أنا أعرف ما أقول سأنجح .
ولسوف أكون معك للأبد هناك فى سوريا الحميلة . فإن لم يكن
سأكون معك فى السماء حيث لن يفرقنا أحد ..
أرجوك أن تردى على ولا تتركينى هكذا ..

عماد

هذه هى المشكلة أسلوب خال من الأخطاء لكنه خال من
الجودة . وبرغم هذا هو يفرط فى المسودات لأنه كتب ذات
الخطاب عدة مرات ..

ترى هل تزوج حسناء السورية ؟ كان هذا ضمن خطته بعد
ما يصير رائعا ، فهل فعل ؟ شيء فى قلب (عبير) قال لها إن
هذا لم يحدث ..

8- أديب ومع ذلك ..

كما لنا أن نتصور قضت (عبير) عدة أيام فى عالم هذا
الـ (عماد) ..

قرأت كل حرف كتبه ، وفكرت مثله تقريبا .. إنها أنثى ،
وفضول الأنثى العارم شيء معروف .. لهذا تهوى الأنثى تمثيلية
الساعة السابعة ليس عن ولع بالدراما ، بل لأن هذه التمثيلية
نوع من التلصص المحكم على بيوت وأحوال الآخرين ..

بعد فترة بدأت تشعر بأنها تراه . ترى شعره المنكوش العصبى
الذى يستعصى على التمشيط ، وترى أسنانه التى ألتفها التبغ ،
وترى نظارته السمكية ..

تعرف أنه يجلس فى حجرته بالفاتلة الداخلية ، وأن لديه قفطاً
مشمشياً له عين تانغة ، وأنه يشرب الكثير من الشاي الثقيل ..

تعرفه لدرجة أنها الآن تجلس أمامه ، وهو عاكف على الكتابة ..

لابد أن عشر دقائق قد مرت ، وهو غارق فى التدوين على
شاشة معالج الكلمات فى النهاية رفع عينه نحوها ، ولم يقل
شيئاً ..

قالت له فى كياسة :

- « في بيتنا كنت مولعة بالطعام الجيد . لكنى كنت طححة ربيبة . جربت حظى عدة مرات . وأوشكت انيت كنه على الاصلبة بالتسمم . هكذا كفت عن المحاولة . وصرت أكتفى بأى أعلون لى فى مهام بعينها . تقطع الطماطم تنقية الارز إلح نقد قنعت بهذا .. »

نظر لها واتسعت عيناه ، وقال :

- « هذا حديث شائق ، لكنى للأسف آخر من يهتم بتاريخك فى التدبير المنزلى .. »

- « دعنى اكمل . تعلمت أنى أتوق للطعام الحيد لكن لا يسفى ان نتحول جميعا إلى طباحين . ان لله عداا احصهم بهذا الموهبة . وذات الشيء ينطبق على الأدب . أنت لم توت الموهبة فعمدا لا تكتفى بالاستمتاع به ؟ »

ضرب المنضدة بقبضته ، وفى غل هتف :

- « لا أريد أن أكون مجرد واحد آخر . انى انعالم لأضيف له ثلاثة أطفال يحملون نصف جينتى . شعرى المعجود وداء السكرى الذى عانت منه أمى .. ثم أرحل . »

- « لن يكون شعر الأطفال مجعدا ما دام نصف جيناتهم

سوريا ! »

نظر لها فى غيط . لا يعرف إن كان يخبرها أن قصة الحب قد فشلت أم لا . لا لن يخبرها . إنها تتدخل فى حياته منذ رآه . وهناك أشياء لا نعترف بها حتى لأنفسنا .. قصة الحب قد فشلت لكنه لم يصارح نفسه بهذا قط ..

والأدهى أنها فشلت لأن (غيداء) اعتبرته فشلا عاجزا عن النجاح . نحن نعترف بأشياء كثيرة ، لكننا لا نعترف بالفشل أبدا . نعترف بأننا ضعفاء أو متخاذلون . نعترف بأن حظنا سيئ .. لكن لا أحد يعترف بأنه نكرة ..

قال لها وهو ينظر إلى الشاشة فى حمس .

- « دعينا نجرب هذا .. »

عندما دخلوا حاملين المحفة ، سمعت صوتهم فى العمر فعاذرت الغرفة ..

هناك كان الضابط واقفا مع اثنين من المسعفين . وراها فتحنى جاتبا بينما هى تصلح من خصلات شعرها الأشقر . وتشعل لفافة تبغ كعادتها كى تقاوم الرائحة ..

قال لها وهو يتأمل وجهها القسيم :

- « حنة أخرى يا دكتورة . أنت تعرفين الرجل . »

اتجهت إلى الملاءة وأزاحتها .. وكان ما توقعته

فتاة سمراء الشعر حسنة القسمات تشخص إلى السقف بعينين
لن تريا بعد اليوم .. علامات التعذيب واضحة لكن سبب الوفاة
هو تلك الطلقة التي اخترقت الجبهة .. من الواضح أن يدي
الفتاة مقيدتان خلف ظهرها ..

(عماد) مولع بالسفاحين على ما يبدو .. هناك (جك السفاح)
والآن هذه القصة التي لم تتبينها بعد .. إن لديه ميولا سادية لاشك
في هذا .. المعدلة الشهيرة . الحرمان والفشل المتكرر يؤذيان إلى
الغل ، والغل يؤدى إلى السادية .. والسادية تعبر عن نفسها في
هذا الطراز من القصص ، حيث تلقى النساء عقابهن على الورق ..
لن يصير (عماد) سفاحا حقيقيا لذا يكتب عن سفاح آخر ..

قال لها الضابط ، وقد لاحظ شرودها :

- « ثالث حالة نجدها في مرآب في (متهاتن) خلال أسبوع ..
اعتقد أنك بحاجة إلى ليلة لتكمل التقرير .. »

قالت وهي تتلوك لفافة التبغ :

- « بالطبع .. »

كانت تشعر الآن بأنها بالفعل محترفة مارست هذا العمل مرارا ..
إنها الطبية الشرعية (باتريشيا) التي كان من حظها أن شرحت
أغلب هذه الجثث .. لم يحن الوقت لتسميته (سفاح متهاتن) بعد ؟

العلامات واحدة التعذيب المفرط ثم القتل برصاصة في
الجبهة .. هذا القاتل منظم جدا ..

قال الضابط ، وهو يتفحص أوراقه :

- « اسمها (ماريانا كارلوتى) سكرتيرة .. فى العشرين
من العمر .. ذات السن كما هو واضح .. »

- « ومن اصل إيطالى كذلك لابد أن هذا يدق جرسنا .. »

وحدها الآن فى المشرحة الخالية فى هذه الساعة من الليل ..
تعد لنفسها كوبا ورقيا من القهوة ثم تدخل إلى غرفة التشريح
وتحكم تسليط المصباح على الجثة .. تشغل جهاز الكاسيت
وبنكية أمريكية عملية تبدأ فى إملاء التقرير .. هذه الطريقة
العملية الباردة فى النساء تروق للرجل الأمريكى جدا ، ولا سيما
ما اذا كانت الفتاة قادرة على ذكر لفظة بذيئة من حين لآخر ..
عندها يضع الأمريكى يده فى خصره وباليه الأخرى يصلح وضع
الكاسيت على رأسه ، ويصف هذه الفتاة بأنها (ساخنة Hot) ..
لا توجد فتيات جميلات أو قبيحات فى أمريكا .. فقط هناك فتيات
ساخنات أو لا ..

(ماريانا) أيضا كانت ساخنة بالمقاييس الأمريكية .. هناك
الكثير من الوشم وهى علامة جمال لا شك فيها عندهم ..
ولكن ..

بدأت تتوتر وهي تلاحظ للمرة الأولى شيئا لم تلاحظه من قبل
في الجثث السابقة

هذان الثقبان في العنق حوار الوريد الودحي بالضبط .
ما معنى هذا ؟

لو كان هذا فيلم مصاصي دماء لارتحفت هنف ، لكن الأمر
ليس كذلك . إنها الآن تميز هذا الجو وتعلمه . إنها في إحدى
قصص (أدب المشرحة) الذي تكتبه (باتريشيا كوربويل)
لا حدال في هذا حتى اسمها (باتريشيا) كذلك .

الأخ (عماد) قرأ إحدى هذه القصص وتأثر بها جداً كم هو
واضح . وما معنى ان يكتب كاتب مصري قصة ابطنها عربيون
يوأجهون مشكلة غربية في عالم غربي؟ هذا نوع فريد من الأدب
المترجم يمتاز بأنه غير مترجم ، طريف فعلاً . (ابن المقفع)
فعل شياً شبيهاً بهذا في (كئيبة ودمنة) عندما ألف حكايات
عبقرية عن الحيوانات ، وزعم أنه مترجمة عن الأدب الهندي
فقط ليظفر باهتمام القراء . ومن الغريب أن الجميع صدق هذا
الزعم حتى اليوم ..

لكن ما دخل الثقبين في الأمر ؟

اتجهت الى مكتبها في نهاية العمر - يا لرائحة الكيمالويت هذه ! -
وطلبت (هاتك) ..

(هاتك) المخبر السري صديقها . لا غنى عنه في هذه
القصص . هو وحده يعرف ما يحدث ويعرف كيف يأتيها بالمخبر
البقي

- (هاتك) . أريد ان تعرف كل شيء ممكن عن فتاة من
أصل ليطنى من (ملهات) اسمها (ماريقا كارلوسى) سكرتيرة
في العشرين من العمر وقد اختفت .. »
ثم بدأت تتلو عليه بيتات الهوية وهي تضعها في ضوء
المصباح ..

شعرت بأن هناك من يقف وراءها ..

انفتحت فوجدت انفتاة انقبية تقف خلفها

9- هجمة أخرى ..

لم يكن هناك وقت للتفكير .. لا وقت للذعر وكل الهستيريا
الأنثوية .. إن القبور تغص بالفتيات اللاتي وقفن يصرخن بدلا
من الفرار .

لكن كيف الفرار وهذا الم .. هذا الشيء يسد الباب .. ؟

زجاجة الحمض على المنضدة .. كل هذه الكيماويات هنا ..

أمسكت بالزجاجة وانتزعت الغطاء في ذات اللحظة التي أفرغت
فيها محتوياتها في وجه المسخ .. ترى هل يجدى الحمض مع
فتاة كانت ميتة منذ ثوان ؟

يتصاعد الدخان قوى الرائحة ويغطي الشيء عينيه ويصرخ

يسقط أرضا على ركبتيه فتشب (عبير) من فوقه وهي تصرخ
بدورها ..

تركض في العمر بينما يدوى صوت (هاتك) من جهاز الهاتف
الخلوى :

- « (باتى) .. ماذا يجري هنا ؟ »

قالت وهي لا تكف عن الركض :

- « الفتاة ليست ميتة ! الإيطالية ! لا أعرف كيف .. لكنها الحقيقة

(هاتك) .. لابد من أن تأتى حالا ! »

التلجة هناك في نهاية العمر

تتحطم وتعلق الباب حلقها ثم تتوقف لاهة

هناك من .. هناك من يتحسس الباب من الخارج . المقبض
يهتز .. هذا حلقى .. مكن التلجة موصدة بعنية .

إن الأمر لا يتعلق بقدر تسلسلى الأمر يتعلق بمصاص
دماء فى (متلهاتن) يجعل ضحيته مثله . تب لك يا (عماد) !
هل هذا أفضل ما توصلت إليه الآن ؟

وقفت خلف الباب نهت وتساءل عما إذا كانت المسوخ
تتوقف كثيرا أمام الأبواب ..

ثم سمعت صوته ..

(هاتك) أقوى الحشن الذى يعرف ما يجبى عمله (هاتك)
المصلح .. (هاتك) الذى يحبها .. إنه هنا !

تسمع صوته يناديها فى العمر ..

- « باتى !! »

انه يقرب .. هن تفتح الباب الان " لكنها توقفت اذ سمعت
صرخة .. صرخة رجل مذعور كما يكون الذعر ..

- « يا الهى الرحيم !! ما أنت ؟! » .. عدد 48، مصر

ثم صرخة مربعة أخرى بعدها دوت عدة طنقت . ثم

كليك (كليك)

مسدس فارغ ..

فاق الامر تحملها ففتحت الباب . هناك وجدت ذلك المسخ على الأرض في منتصف الردهة بالضبط . وقد تصاعدت منه سحابة دخان هي خليط من أثر الحمض مع بارود الطنقت .

كان (هاتك) يقف جوار الجدار يرتحف شاحب الوجه . والمسدس في يده وهو مصر على اطلاق طنقته الفرغة على هذا الشيء .

كليك (كليك)

- « كفى يا (هاتك) ! لقد قتلتها ! »

- « هي ميتة من قبل أن أطلق عليها طنقة واحدة ! »

وأشار إلى جبهته :

- « لا أحد يظل حياً بهذا الثقب من مسدس (ماحنوم) في رأسه .. »

انن نحن غادرنا عالم (بتريشب كورنويل) بتأكيد فلين نحن لا ليس علم (أن رايس) حيث هناك مصاص دماء رقيق معذب دائما مصاص يعاني مشكبة الحلود ويشعر بملل فظيع ..

اقتادت (هاتك) الذي لم تعد ساقاه تحملانه إلى انداخل . وقدمت له بعض مشروب (الجنجر) ليهدئ أعصابه ..

ثم جاء السؤال المهم ..

ماذا يحدث هنا ؟

قال لها (هاتك) وهو يقود السيارة في شوارع (نيويورك) التي بللها المطر :

- « لا أعرف كيف أقول هذا وأبدو عاقلاً . لكن هناك مصاص دماء في (مانهاتن) ، وهو يعذب ضحاياه ثم يحولهم إلى نسخة منه .. هذا واضح .. »

سأله وهي تفكر في احتمالات هذا الذي قاله :

- « وباقى للفتيات ؟ ماذا أصابهن ؟ »

- « لاحظي أنك لم تجدى أثراً للثقب في أعناقهن يبدو انه لم يجد الوقت الكافي ليبدأ . لكن خططه المستقبلية واضحة لأي طفل . »
ثم شعل نفخة تبغ ليبدو خشناً محترفاً مثل (همفري بوهارت) في الأفلام وقال :

- « سوف أحرى تحرياتي .. لابد من معرفة من كان يقابل هذه الفتاة . هناك خيط وسوف أقتفيه حتى النهاية . »

وانفجر يسهل ، وقد نسي للحظة أنه لم يدخن من قبل قط ..

اتزعت لفافة التبغ من فمه ودستها بين شفثيها ، وقالت :

- « هناك جثة مزقتها الرصاص في المشرحة .. هذه هدية جميلة تتركها لي »

- « كح كح » إن تقريرك سيتضمن أن الغدة ماتت بآثرصاص على كل حال . لن تغير الأمر بضع رصاصات اضافية .
وتوقعت قرب مقره . فوثب من السيارة وهو ما زال يمسك بصدرة ويسعل ..
- « كح كح » رحو أن تقتنى نفسك سوف انصرف بك قريباً .. »

هكذا قادت سيرتها وسط الشوارع وهي عارقة في التفكير مصاص دماء هنا ، ماذا لو عرف هؤلاء المشعوذ في انطرفت العرقون في صباب المشاكل اليومية الذين خرجوا من ضباب العمل من التاسعة لخمسة ليدخلوا ضباب البحث عن مفامرة في بار أو مرقص ..

ماذا لو عرفوا ان هناك مصاص دماء طفيف هب ؟ وصلت انسية اننى تسكن فيها فذهبت المراه بالسيارة . كن الهدوء يغمر المكان ، والإضاءة شبه خافتة هذه هي اللحظة المناسبة لمهجمة أى شخص تريد . كانت تهاب هذه اللحظة بشكل خاص تتوقع فى كل نية أنها الاحيرة .

على كل حال ، ماتت كل الفتيت السابقات فى لحظة كهده تفتح باب سيارتها وتخرج ..
هنا حدث بالضبط ما قال عنه المثل العاصى . « اننى يخاف من العفريت بطلع له .. »

هذا المثل يتحقق معها بشكل ملح مستفز فعلا .
لكن العفريت هب لم يكن عفريت مجازي . كان عفريتاً حقيقياً وثب عليها من فوق سيارة فان سقطت أرضاً وهو فوقها . ووجدت الفرصة كي ترى ملامحه بوضوح الوجه الشيطاني المتقلص الأنياب البارزة الوجه الممعد شبه المتعفن . هذا مصاص دماء تفريوني جدا من الذين يعلنون الحقائق التفريونية رحيصة الإنساح على غرار (باقى) و (الملك) . إلخ . حيث لا تسمح ميزانية الماكياج الا بـ 23 5 دولار وبالتالي لا مفر من شراء القعة الهنوين البلاستيكية لتمثيل بها
لكنه مخيف بما يكفي على كل حال ..

صرخت ووجهت لكمة فى وجهه . فقط لتستقر قبضتها بين أنيابه ضربته بنقبضة الأخرى وهي تواصل الصراخ .
لو بلغ هذان اللذان عنقها فلسوف ..

هب شعرت ان شيب يتدخل لصالحها طار المسخ من فوقها ليرتطم بانحدار وبصعوبة تبينت سمات ذلك الشاب الذى يهاجم مصاص الدماء بصريه يركله يمارس نوعا من الحركات البهلوانية تذكرك بـ (باقى) فعلا ..

كما قلت ألف مرة من قبل ، فان وصف القتال مضيق للوقت وثورق لكن دعنى أخبرك فقط أن هذا الفتى الذى أنقذها كان بارعا بحق لقد تحاشى كل هجمات المسخ وأوسعها ضربا . ثم فى النهاية أخرج نصلا طويلا ورفعها فى وضع افقى ثابت ، فى اللحظة

التي هجم فيها مصاص الدماء .. نفوس اتصل كاملا في صدر هذا الأخير ، وأطلق صرخة تذكرك بعواء ذب ينتزعون قدمه حيا ..

ثم سقط على الأرض ..

كنت ترتجف ذعرا وتوترأ لكنها استطعت أن ترى وجه مخلصها ..

لقد جاءها والدم يلوث وجهه مع ابتسامة عابرة يحاول بها أن ينسبها كل هذا الفزع ..

- « هل أنت بخير ؟ »

أسمر اللون أشعث الشعر يلبس عوينات لا تعرف كيف لم تتحطم بعد كل هذا الصراع .. ثم تتكئ الكئنة .. لا يمكن ألا تعرف طريقة نطق المصري لـإنجليزية مهما حاول أن يخدعك .

قال وهو يمسح الدم عن وجهه :

- « اسمي (عماد) .. (عماد التونلي) .. »

10 - أديب مع بعض التحفظ ..

هنا فقط قاطعت (عبير) تدفق السرد ، وصاحت في غيظ

- « لماذا تقدم نفسك في الأحداث ؟ »

قال وهو مستمر في الكتابة :

- « منذ لحظات كنت متضايقا لأن القصة لا علاقة لها بأي شخص عربي . والآن متضايقا لأن بها شخصا عربيا .. منذ متى لم تسمعي قصة جحا وابنه والحمد لله .. ؟ »

- « الأمر يبدو سخيفا .. أعرف أن (ايلري كوين) كان يفعل الشيء ذاته ، وكانت بطلات القصص يصحن : أنت رائع فاتن يا مستر (كوين)! بينما الرواية كتب عليها أنها بقلم (ايلري كوين) . لكن (ايلري كوين) لم يكن رجلا واحدا . كان شخصين يكتبان تحت هذا الاسم ! »

- « لماذا نقف العرب في كل شيء ؟ لماذا لا يكون لنا عالمنا المتفرد ويجعل كاتب القصة نفسه بطنها ؟ »

جلست أمام شاشة الكمبيوتر وراحت تطالع ما كتبه . لم تحب قط القراءة على شاشة الكمبيوتر وبدأت لها احتراغا سخيفا . لا شيء يعادل الكتاب الصديق الصدوق الذي تحمله معك حيثما ذهبت .. كتاب له راحة وتنتهي أطرافه ويصفر ورقه مع الزمن ..

قالت له في حنر :

- « لكن القصة مثيرة إلى حد ما .. ربما كنت لديت لموهبة بعد كل شيء .. »

- « هذا ما قتلت طلبة حياتي ليصدقه الناس .. »

ثم أراحهم من دون رفق عن الشائسة ولوحة سمفاتيح ،
وظفقط سلاميات أصبعه ليعاود الكسبة بطريقته المميرة
حرف في كل مرة ..

حكى (عماد) لـ (بتريشيا) كل شيء عن حياته وهما
يمشيان في شوارع (بروكلين) ..

الهجرة إلى الولايات المتحدة أرض الأحلام .. الروح الأمريكية
التي ملأت قلبه سعادة بعتباره نحح أحبر في قناء تلك التحفة
الأنيقة الشفراء (عير) في شخصيتها الأمريكية شفراء فتاة
كالعادة لهذا لم تر في كلامه شيئا غريبا ..

الزوجة الأمريكية التي ملأت حياته سعادة ، ثم ملأها حوسا
عندما أعلنت أنها تحب زميلها في العمل وتم نظري هو الآن
يدفن أحزانه في العمل ..

كان في المراتب يوقف سيرته عندما سمع صراخها وراى ذلك
المسخ .. لا يعرف ما هو ولا لماذا هو هنا ، لكنه باعتباره
مصريا إذا سمع استفائة أننى يصرب ثم يفهم

- « وتحمل سيفاً على سبيل الاحتياط ؟ »

- « نحن في نيويورك حيث يحب أن يحمل المرء سيفاً حتى لا
يموت بسيف آخر .. »

حكى له عن نفسها .. بدا لها وسيم رائع .. انه الحلم الذى
تخذه به لعدة منذ تعرف معنى لفظة (رحل) حتى تصير عجوزا
وتموت ..

هنا توقفت (عير) عن القراءة وصاحت في عيظ ..

- « ألا ترى ما يستفر في هذا كله ؟ أنت وسيم رائع وحلم كل
فتاة ! ألم تجرب شراء امرأة ذات مرة ؟ »

قال وهو يواصل الكتابة :

- « هذه قصة حبالية خ ي ا ل ي ة كل شيء
مسموح به .. لو كنا نخل عوالم الخيال كى بلغوا أنات ويضربون
ونقرأ دما ونموت .. فليذهب الخيال إلى التحميم .. »

سمعت (عير) لهذه لفكرة .. ثم قصة قيمة له (تشيكوف)
كانت فيها حلانة لفقيرة تلعب مع طفلها الرضيع .. تحلم معه
فكست تقول له ستكر .. وذهب مع لنعمل أحيرين فى بيوت
الأثرياء !

هذا هو الخيال الوحيد الذى سمحت البائسة به لنفسها .. وهو
شئ مفهوم على كل حال ..

هكذا بعد ساعتين كانت علاقة حميمة قد وُلدت بينهما ..

الفتى الوسيم الشجاعى القائد من بلاد النيل حيث تزار التماسيح
فى ضوء القمر على ضفاف النيل (أو هذا ما أفتتت نفسها به)
والطبيبة الأمريكية الحسنة ..

يمشيان معا فى (برودواى) وسط انلافتت البريقة . ألف
مسرح وألف دار سينما تعرض ألف فيلم ساحر .

يدخلان عوالم الظلام فى (سنترال بارك) . هناك ينتظرك
الرنوج من تحدر المخدرات حاملين هراواتهم ليحطموا رأسك ، فقط
قبر ان ينقض عليهم رجال عصابات (بورتريكو) لينهشموا رءوسهم
بمواشيرهم .. كم أن هذا رومانسى جميل !

تقول له :

- « هل تذكر أغنية (الرولج ستونز) الشهيرة ؟ أمشى فى
سنترال بارك . أعنى بعد ما يحل الظلام فيحسبني الناس
مخبولا . انعش فى خطواتى . أترنج فى الطرقات . يسأئنى
الناس : تو . تو . ماذا دهك يا فتى ؟ رباه ! أنا افتقدك
يا طفلى ! »

قال فى حيرة :

- « لم أسمعها . كن بمكنك أن تريح نفسك بدلا من غناء
كل هذه الأوبرا .. »

يدق هاتفها المحمول فتتوقف تحت شجرة وترد

- « (كورنويل) .. »

كان هذا صوت مفتش الشرطة :

- « (سالى) . أين أنت ؟ هناك جثة جديدة . رجل اخترق سيف
صدره فى مراب .. نعم . نفس الأسلوب لكنه رجل هذه المرة .. »
على الأقل هذا خبر تعرفه ..

أردف المفتش بلهجة متحفظة قلقة :

- « (سالى) .. لا أعرف كيف أقول هذا . الرجل المتوفى قد
تشوه وجهه كثيرا . مسحة شيطانية عامة على ملامحه ، لكنى
أعرف من هو . لا شك فى هذا . إنه (هانك) ! »

- « ماذا تقول ؟ »

- « نعم .. (هانك) .. أنا آسف .. »

(هانك) تحول إلى مصاص دماء وهاجمها فى المراب هناك
من هجمه بعد ما فارقها . أو لعلها الفتاة فى المشرحة طفرت به
وهى لم تعرف ..

اعتفت الهاتف ونهت للبكاء . عندما سمعت صوت (عماد) يقول في الظلام :

- « كنت مضطرباً لهذا كي اتعرفت كي عرف ما تعرفين ! »
دفعت النظر فذكرت ان (عماد) لم يعد هو .

صاحت في جزع :

- « أنت من مسخه إلى مصاص دماء ! »

- « وقتلته على الفور امامك ! كانت تعتيبية منقعة ! الآن أنت وحدك في بقعة خائبة من (سترال مارك) مع مصاص الدماء الذي بدأ كل شيء ! هل يشير هذا فزعك " جميل . جميل " مصاص الدماء يحتاج الى بعض السادية . يحتاج الى ضحية راجفة باكية .. ما رأيك في بعض التوسل ؟ »

وفتح فمه لتبرز أنيابها الهائلة ..

تلقن في عبقها نهاية سريعة ثم عودة دائمة لتصير مثله !!

اصرخي .. اصرخي يا بلهاء !

ربما كان هناك في مكان ما (عماد) حقيقى سائل ينقذك من أنياب هذا .. ينقذك فعلاً هذه المرة !!

11 - إحياء وادمصاص ..

فرغت (عمر) من المراءة ونظمت تحت بندوشه على صفحة الكسبة بعض نوك عجره عن أن تقول شي

ثم نظرت له في عينيه ، وقالت بصراحة :

- « لم أحب النهاية ! »

- « لم أجد نهاية أفضل .. »

- « قرأت نفاذ أدنى امرئى يقول عسى لمرء لا يسد له كتابة قصة لا يعرف كيف سينتهيها ! »

ظل يطرئ بعض الوقت وتحدة فخر شيء متوقعه

عق لعنف ، ثم ضغط على رحمة ولا مصء ولا تريد عسى (مسح) ..

لا محاولات للتصحيح ولا أعذار ..

فقط نهض من دون كلمة وبصوت محوح فن

- « كنت على حق .. »

ضمت حائسة في معرفة الضيفة الكسبة وحده . لا تعهد حفا
هل هي فمسية الى هذا الحد هل يجب ان تحب ما لا تطيق ان
تحبه ؟ من المومن ان يتعب المرء بلا طين . لكن لماذا يصر على
أن يكون لاعب كرة وقدماء مكسورتان ؟

ثم ما كل هذا التناقض تجاد نفسه ؟ تارة يتحمس ويجعل نفسه
أروع شخصية في الرواية وبطنها الأوحاد ، ثم يتضح أنه مخادع
ومصاص دماء ؟ انه يكره نفسه ويحتقرها بقدر ما يحبها .. هذا
التناقض الذي يمكن أن يكتب عنه علماء النفس مجلدات .

ثم فطنت للحقيقة المرعبة انه يكره نفسه لانه يحبها بجنون ..

لم يكن القلق هو السبب ..

الموصوع أنها كانت شري وتحتاج إلى دخول الحمام من وقت
آخر لهذا نهضت وتحسست طريقها في شقته بحثا عن الحمام .

بالواقع كان الأمر سهلاً ، لأن هذه لم تكن شقة .. لم تكن
وكرًا كذلك كانت غرفة واحدة وممرًا ضيقًا فيه باب موصد .
هو باب الحمام طبعاً ، دم المطبخ في نهاية الممر .

مدت يدها ودقت مرة ومرتين لا أحد بالداخل .. أدارت
المقبض فافتتح بذلك الطريقة المريبة التي تنفتح بها مقابض
أبواب غرف الموتى ..

كان الحمام ضيقاً ومن الواضح أنه لم يجدد منذ خمسين
عاماً ، والعريب أنه لم يكن متسحاً على الأقل احتفظ (عماد)
بلمسة من ارقى .. هذا حمام من عصر ما قبل القيثاني
والسيراميك مع ، يصحح أن تقفل فيه (شجرة الدر) زوجها
بالمقابض . لا يوجد مغطس وإنما هناك حفرة بيالوعة فوقها

دوش وكذا شيء يصب في النهاية في تلك البالوعة التي تتسع
لكل شيء . فوق المغطس هناك صيدلية من (الصاج) انصدي
من الطراز الذي ثبتت مرآة على بابها ..

في حفرة المغطس وجدت (عماد) راقدًا على الأرض مبللاً .
كان فاقد الوعي والنظارة على الأرض جواره .

فركت ما حدث لأن الفتى ليس في سن الإصالة بالجنطت المعوية

كلا لا توجد موسى ملوثة باسم . هناك عتبة اقراص فارغة
جواره .. وهناك كوب ماء نصف ملىء ..

على العتبة قرأت كلمة (ترانكسين) لا تعرف ما هو لكنها
خمنت من الانجليزية القليلة التي تعرفها النغمة تشبه لفظة
Tranquidizer فلو كنا نحن الأمة التي تخرع الادوية لكن اسم
هذا الدواء (مهتئين) ..

هرت الفتى وصفعته قبلاً وبدأ الذعر يتمكنها هل تأخرت
عليه ؟ بهذا تكون فكتته مرتين مرة لأنها لم تحب قصصه .
ومرة لأنها لم تتحقق به عندما عذر العرفة

أصدر قينا فاضمتني التي أنه لم يمت على الأقل حتى اللحظة

- « (عماد) .. أن حانفة لا أعرف ما يجب عمله سوف
أستدعي الإسعاف .. »

قل من بين أسنانه ومن دون أن يفتح عينيه :

- « لا داعي .. لا أريد .. أتورط مع الشرطة .. »

- « إذن أتركك تموت وأتورط أنا ؟ »

- « لا .. لن أموت .. »

ثم أشار بها إلى خارج الحمام - عدة مرات - نظرت إلى حبيبته
بشيرة فلا تفهم .. في النهاية قال :

- « المطبخ .. كوب من الشاي الثقيل .. جد .. »

- « فهمت .. تريد أن (تعذب نفسك) في الذهاب للحمام .. »

- « فقط افعلني ما أقول .. عندما يغلي الشاي احرقني بعملة
كبيرة من الخبز واسحقها في الشاي .. »

- « جميل .. وبعد هذا ؟ »

- « كوب كبير من محلول الملح .. أسرع ! »

هرعت إلى المطبخ الحقيق وهي مقتاة - لم تعرف من قبل
أن نقد المستحرقين بسكتة في كل هذا الجهد - جهد بحث عن
الشاي .. جهد البحث عن لقمة خبز وسط هذه المدعة - جهد
العثور على كبريت في بيت صاحبه لا يكف عن استهزئت سقاها
في تسخين .. جهد اشغال موقد (المصانع الحرسية) الذي كان
في أحسن حال منذ ثلاثين عامًا أما الآن ..

أعدت الشاي في براك قدر وأحرقته لقمة الخبز .. وفجئت ثم
قال ثم عادت به في الحمام .. أجسسته مستندًا إلى المرحاض
وراحت تسقيه الشاي ..

لما اطمأنت إلى أنه بدأ يشرب هرعت إلى المطبخ وراحت
تفتش عن الملح دهرًا .. صحيح أن صرصورًا أمريكيًا عملاقًا
وثب من علبة فارغة في وجهها ، فكادت تموت بسكتة قلبية ..
إلا أنها تمكنت من التماسك وإعداد محلول الملح المركز ..

عادت له بكوب الملح فشربه مرة واحدة كأنه مياه غازية ،
وعلى الفور ..

أووووووع !

تحول الحمام إلى مذبح .. وقد اضطرت إلى الوثب إلى
الخارج كي لا تغرق في بحيرة القيء ..

عذاب ما بعده عذاب مر بها حتى نجح القيء في أن ينهض
ويغسل وجهه ، ثم يتحامل عائداً إلى غرفته فيرتدى على الحشوية
الموضوعة على الأرض ..

قال لها مفسراً :

- « محلول الملح طريقة فعالة لإحداث القيء .. الشاي الأسود
يحوي حمض التانيك الذي يؤدي لترسيب السم .. الخبز المحترق
هو طريقة للحصول على الفحم المنشط الذي يدمص السم .. »

- « تعني (يمتص) السم ؟ »

- « بيل (يدمص) السم .. تذكرى دروس الكيمياء يا حمقاء ..
الفارق بين Adsorption و absorption هو الفارق بين
الامتصاص والادمصاص .. »

كان من العريب أن يتمتع منتحر بهذا العقل الحاضر ، وهذه العقبة العمة على قدر عظمها هذا أول منتحر ينقذ نفسه بهذه الكفاءة ..

أخيراً عقدت يديها على صدرها وقالت :

- « من لي أن أهتم معنى الذي حدث ؟ هل ابتعت السم لأن القصة لم ترق لي ؟ »

- من سعت السم مني فاشل في كل شيء حاولته . لم أستطع أن أكون مهندساً ولم أستطع أن أكون شاعراً أو روائياً . لم أستطع أن أضع من نصحي . لم أستطع أن أنعم بقصة حب .

قالت ولم يكن قولها في موضعه :

- « حتى الانتحار فشلت فيه .. »

ثم تذكرت أين هي وما عيها أن تقوله ، فقالت

- « كنت سأتبع هدى أدب من حسن حظك أنتى هب . »

عظي وحبه ، وادركت من اهتزاز كتفيه أنه يبكي .

قالت له :

- « سابع بعض الطعام ثم أتركك حتى الصباح فقط عني لا تكرر هذه الحماسة في الصباح سوف أجد لك مخرجاً . »

12 - فريال تنتوى الموت ..

(عماد للتونى) ..

الفتى الذى ولد من جديد ..

جاءته (عبير) فى الصباح حاملة معها طعاماً وشياً ورزمة أوراق . نفس الطراز الذى وجدته فى تلك المجلات القبيحة (برغم أنه لا داعى لها لأنه يكتب على منسق الكمبيوتر الآن) ومع الطعام والأوراق ابتاعت له بعض الأمل الحديد

كن جالساً على مكتبه يجرع القهوة الثقيلة . كانت قد نصحته بهذا فهي تعرف خطورة الاستسلام للنوم فى الليلة التالية لابتلاع أقراص مهدئة .. يبدو أنه أفرغ جالونات كاملة من القهوة لأنه كان محمر العينين ، وكانت يداه ترتجفان بلا انقطاع

لم يكن من الممكن خارج (فتناريا) أن ترور شاباً يعيش وحده ، لكنها وجدت نفسها فى (فتناريا) تتحرك فى حيوط قصة أكبر .. وبرغم كل شيء لم تكن تعرف جيداً متى ينتهى الخيال ومتى يبدأ الواقع . هل فى الواقع تزور عوالم فتناريا التى كتبها مؤلف مغمور ؟ ، أم إن المؤلف نفسه جزء من تسبيح فتناريا ؟ هل هى (عبير) حقاً أم صورتها فى القصة الخيالية ؟

فأنت له محاولة أن تطرد هذه الهوا حس عن ذهنها .

- « ما زالت الحياة جميلة .. ما زال بوسعك أن تخدم المجتمع حتى لو لم تصر أديبا .. »

قطع نصف رغيف كاملاً ، ودس فيه حبة فلفل مع نصف ثمرة طماطم ، وألقى بهذه الشطيرة المرتجئة في فمه ثم قل :

- « من قال إننى أعمل عملاً يحقق أى دخل ؟ إننى أبيع الكتب وهذا لا يجعلنى مليونيراً .. »

قالت مسترجعة كل أفلام (ماجدة) و (فاتن حمامة) التى تلعبان فيها أدوار الملائكة :

- « سوف تعود للكتابة ، وهذه المرة سوف تحقق نجاحاً .. »

فكر قليلاً ثم قل وقد انتفخ خداه كله لزمرا في حفل نكر شععى :

- « وعن أى شيء أكتب ؟ »

- « فكر فى حياتك فكر فى فشلك . فكر فيما حدث أمس .. »

يبدو أنها كانت مقتعة ، لأنه راح يفكر فى حياته يفكر فى فشله .. يفكر فيما حدث أمس ..

كان أول ما قاله هو أن كوم عتبة التبغ فى قبضته وقتل .

- « أعتقد أن على أولاً أن أتخلص من هذا السم »

وعند الظهيرة أحضر مقعداً وضعه أمام شاشة الكمبيوتر . واستحضر أيقونة (مكتب ميكروسوفت) ثم بدأ يكتب الحروف الأولى من قصته الشامخة ..

لم تكن (عبير) تعتقد أنها ستحبه .

فى الحقيقة لم تعتقد أنها ستحبه أبداً ..

لكن ذلك الشعور الغريب تحرك فى أعماقها ولم تكن يلهىء لقد خمنت أنها تحمل نحوه عاطفة أمومة متزايدة .. هذا ليس حساً بالمعنى المعروف للكلمة ، وهو نوع من الرقة البائغة كاسى تعمرك عندما ترى قطاً صغيراً عاجزاً جسد بنته الأمطار يقف تحت سيرة أنه شعور بأن قلبك يتمرق باحتصار شديد

هذا كان عاجزاً معتداً يفت نفسه لأنه يحب نفسه وهذا لمعت اتخذ بعداً حدية خطيرة هذا دفعها إلى أن تتباه مغرباً

كل شيء فى هذه المعامرة يذكرها بقصص أخرى . متى يبدأ الواقع ومتى ينتهى ؟ هل هى فى عالم الواقع أم أن هذا الواقع جزء من قصة أخرى ؟ حتى هذا الموقف الذى تعيشه يذكرها برائعة ستيفن زفالايج (24 ساعة فى حياة امرأة) الائمة اننى قررت ان تلعب دور الأم فى حياة شاب ابتلى بحب القمر

احبته محبته الثقة بنفسه اعتقدت أنه شفى من القمر فعلاً ، فقط لتجده عرق فى الديون على المائدة الخضراء . وفوق هذا أهاتها وشمها واتهمها بأنها عحوز شمعاء نحسته .

لكن (عماد) لن يكرر هذا معها لسبب بسيط .. هذا هو الواقع وليس قصة من قصص (زفالايج) .

من حين لآخر كانت تعيد تفحص الأوراق التى كتبها لنفسه لتجد أول لحيثية لتى رسمها لنفسه .. عانت يوماً أن تشعر بالشفقة

على هؤلاء الذين يضعون جداول خيالية .. أيام دراستها كانت تضع جداول عجيبة يحسدها عليها لينشتان نفسه .. منهج العلوم نصف يوم . ربما ساعتان للغة الإنجليزية ثلاث ساعات للغة العربية .. يبقى وقت كاف من اليوم لتعلم التنس والعزف على الحيتار لو أن معها من المال ما يسمح بهذا (وهو مستحيل طبعا) .
في النهاية ترى ما كنته فتفجر في الضحك وتدمع عيناها

هل كنت بهذا السخف ؟ هل كنت بهذه البلاءه ؟

هكذا شعرت بالكثير من الشفقة على هذا الفتى ، وقررت أن تساعده على أن يحترم نفسه من جديد ..

في المساء كانت تمشي معه على شط النيل يلتهمان الذرة المشوية ، ويتحدثان عن السبب الذي يجعل الباللاء تعسد بسرعة عندما تحفظها في كيس بلاستيكي بثلاجة

قال لها وهو يطوح كوز الذرة الذي خلا من الحبوب فصار أبيض متدرنا كساق مجذوم :

« فكرة ابتلاع الحبوب المنومة رهبة . أنا استحممت من ذلك خبرات يمكن أن أستعملها في القصة .. »

قالت وهي تنهى آخر حبيبات في كوزها .

« لحظة الموت التي نعود منها خلافة دائما . أن تذهب هناك وتعود لأن أجلك لم يحن بعد . هذه اللحظة قد تجنب جائزة نوبل لأكثر من أديب .. »

كانا الآن في الدقى . رائته ينظر إلى لافتة تخص المركز الثقافي للروسي بعين مدققة .

قال لها شاردا الذهن :

« بدءوا دورة جديدة من تعليم اللغة الروسية أريد أن أتحق بها . لا أستطيع أن أتصور أديبا لا يحيد الروسية التي كتب بها (دستوفسكى) و (تشيكوف) »

ثم صمت لأنه وجدها تنتظر له شذرا ..

« هل أخطأت في شيء ؟ »

قالت ضاغطة على أعصابها :

« (عماد) . (عماد) . جرب ان تتغير . أرجوك . أنت تحاول كتابة رواية . فتفعل ذلك ' (العقاد) و (طه حسين) و (نجيب محفوظ) لم يعرفوا حرف من اللغة الروسية ' »

هكذا التزم الصمت ..

قررت (عبير) أن تنهى حياتها في تلك الليلة

طبعا من الواضح للقارئ ان هذا آخر شيء يريد (عبير) ، فهي متدينة ولا يمكن أن تنزلق لجنون كهذا ولكن مسار القصة الذي كتبه الأخ (عماد) يرغبها على هذا إلزاما إنه مصر على أن يقدم قصة ابتلاعه للحبوب في قصته القادمة .

هكذا أحضرت (عبير) علب المنوم وقررت أن تعطي نفسها
مزية التراجع . لذا لم تذب الحبوب في الماء وإنما قررت أن
تبتلع قرصاً تلو آخر ..

بطرت لوجهها في المرأة . كانت فاتنة كما هي العادة في
(فاتنازيا) . لكنها سمراء هذه المرة .. للمرة الأولى تتخلى
فاتنازيا عن ولع الأطفال الأحمرق بالألوان حيث لا شعر
إلا الأصفر . وتعترف بأن اللون الأسود جميل كذلك

إن اسمها (فريال) .. هذا الجزء تعرفه ..

امسكت بمحطة فرنسية وراحت تتسلى بتقريب صفحاتها إلى أن
بدأ الأقرص العمل . كان هناك مقال عن إحدى العابد الكميونتر
كتبه ادب برازيلى يبدأ المقال بهذه العبارة الغريبة

« أين (القاهرة) تلك ؟ »

هذا غريب !

تصور ان يسأل أحدهم أين (القاهرة) بينما القاهرة خرج النافذة
ملء السمع والبصر . الهواء قاهرة . الناس قاهرة . التماثيل
والتراب وسحابة الدخان قاهرة ..

كبت قد فكرت في عدة طرق للانتحار لكن طبيعتها الانثوية
بفرت من قطع شرايين اليد ومن الثوب من الطابق الخامس .
كلها طرق عنيفة مروعة ..

هكذا استقر رأيها على أقراص المنوم كطريقة تناسب ممثلات
هوليوود ..

لماذا نفعل ذلك ؟ لسببين . أولاً لأن كل شيء في حياتها كان
يشبه كل شيء آخر .. لن تكسب شيئاً بمواصلة الحياة سوى
الشيخوخة وفقد الأصدقاء . كل الموجودات سوف تكرر نفسها
حتى تبهت ولا يعود لها طعم . ثانياً لأنها ترى الأخطاء في كل
مكان وهي عاجزة عن تصحيحها ..

وفتت في السادة شاعرة بأن قدرتها على التركيز تتلاشى
نظرت إلى الشارع لصخب . شاب وسيم يمر تحت نافذة
يرفع عنه فينقى عينها . يتسم . نيس لديها ما تخسره
بإدلتها الابتسامة ثم توارت داخل الغرفة ..

أريز في أدنبيها . رغبة في انقراء . معدتها تعلن عن غصبتها
وتمردها ..

ثم غلبت عن إدراك ذاتها ..

13- فريال لا تموت بسهولة ..

لم تمت (فريال) ..

لو ماتت لانتبت القصة بعد ست صفحات ..

لقد افقت لتحد الاضاءة النيون تفرها . هناك انابيب تخترق جسدها ، ومعصمها مقيدان في ثفرش . وصوت امرأة يقول لها :

- « لقد سقطت على وجهك في الحميم ، عليك أن تفعل أفضل .. »

أدركت انها في المستشفى لقد أقدوها . ومالت عليها الممرضة وقالت :

- « أسفة . أعرف أنك غاضبة ، لكن هذا عملي .. أن أنقذك من نفسك وأن أعطيك مخدراً .. »

ومن جديد أفرغت شيئاً ما في عروقها ..

كانت تشعر ببرد شديد تريد أن تطلب منهم ان يزيدوا حرارة جهاز التكيف قليلاً كل التعنيات المركزة تكون باردة فسية تغيب في الظلام ثم تصحو فلا ترى الا السائر الخضر .

فرغت (عبير) من قراءة هذه السطور على شاشة الكمبيوتر .. ابتنت عيناها واكتسبت بتلك الغشاوة المبتلة الرقيقة ، ثم نظرت إلى (عماد) المتوتر خلفها كأنه ينتظر الحكم عليه . قالت بصوت مبجوح :

- « مؤثرة جداً وشدتني أريد بعنف معرفة ما سيحدث لتلك القصة (فريال) .. هل ستحاول ثانية ؟ »

قل في مكر وهو يشعل لفافة تبغها الثالثة

- « انتظري الباقي .. »

- « لماذا انحرت (فريال) حقيقة ؟ هل السبب هو الخوف من الاتغير الحياة او تتغير بشكل لا يحتمل ؟ »

- « انتظري الباقي .. »

قالت وهي تمسك بيده :

- « لقد أسأت فهمك .. أنت موهوب فعلاً . لكنك أحمق .. أغرقتني في عوالم مصاصي الدماء والقلاع المحاصرة و (جاك السفاح) حتى شكت في قدرتك على تقديم عمل أصيل . » وضع قبضته تحت ذقنه واطلق سحابة دخان كثيفة من منخريه ، وسألها في شغف :

- « ما الذي راق لك لهذا الحد ؟ »

قالت في انبهار :

- « لا أدري ! وهذا أروع ما في الموضوع . الحب الجيد تعرفه
فى انوار بلا تعريفات . عندما ترى زهرة خلابة فانت تنهر
قبل أن تحاول تحليل سر جمالها .. »

ثم هزت إصبعها فى وجهه محذرة :

- « كن حذرا ! لا تفسد ما بدته . فت خزيه ومولع باحطى .
- « سأحاول .. سأكون حذرا .. »

عندما افقت (فريال) من الغيبوبة كان هناك طبيبان شبان
حدهما فرع القمة والآخر قصير . وعرفت من كلامهما أنها
فى مستشفى نفسى ..

لقد أجريا معها تحقيق شبه تولىسى عن كل شيء . كما
سألاها أسئلة عن كل شيء فى القاهرة ..

قالت فى ضيق :

- « هل أنا متهمة فى قضية أمن دولة ؟ »

قال أصغر الطبيبين سنا :

- « لا أريد أن أثير ذعرك . لكن الحقيقة هى أن الحبوب التى
تعاطيتها ألفت قلبك بلا رجعة .. »

نظرت له فى جزع غير فاهمة ، فقال :

- « عما قريب يتوقف هذا القلب عن الخفقان ! »

- « متى ؟ »

تحاشى النظر لها ، وقال :

- « أعتقد أن خمسة أيام زمن معقول !! »

كانت (عير) تفهم معنى هذه النظرات المتعاطفة الشفوق .
معناها أنه لا يعابها على الإطلاق . بل هو مستمتع أتم الاستمتاع
بما يقونه وما يثيره فى نفسها من رعب .. معظم هؤلاء الذين
يتكلمون عن مصائب الآخرين فى قلق كأنهم جزعون فعلا ،
يستمتعون بمهمتهم بشدة . هذا يشعرهم أنهم أفضل حالا ..

قررت ألا تكافئه بهذه الكيفية ، لذا قالت فى انتصار :

- « إذن أنا قد نجحت ! »

قال فى خيبة أمل كما توقعت :

- « نعم ! »

شد ما ساء وضعها بهذه الاخبار ! ربما كان الموت سهلاً عندما
يتنى بسرعة ، لكن فنظاره خمسة أيام أمر يفوق الاحتمال البشرى ..

نظرت له فى عينيه حيث كان يقف وراءها يدخن لفافة تبغ فى عصبية .

« هل أحببت القصة ؟ »

قالت له وصدرها يعلو ويهبط :

« لا أهتم بالقصة الآن .. فقط أردت القول إننى أحببتك أنت ؟ »

وقبل أن يرد فرت من الغرفة والمنزل كله .

14- أربع وعشرون ساعة فى حياة (عبير) ..

هذا هو ما كانت تخشاه ..

الشفقة والأمومة تحولتا حيا . ربما هو الانبهار بعقريّة هذا الفتى . وربما هى الأنفة تجاه شخص تراه يوميا وبهذه الكثافة يقول علماء النفس إنك لو جمعت كنج كونج مع الغولة على جزيرة واحدة فانهما سينتهيان إلى أن يرى كل منهما الآخر أجمل من رآه ويهيم به حيا ..

كانت تشعر على كل حال أنها تحقق شيئا . وأن حياتها ليست بلا جدوى ..

وبوم عادت له بعد اعترافها الأخير ، ظلت مطرقة للأرض تخشى أن تلتقى عيناها به . لكنه أراحها فقال :

« أنا فعلا أقاوم هذه التغيرات السحرية فى نفسى لقد بدأت أتمى (غداء) وهذا غريب .. »

ثم أضاف فى خجل :

« أريدك أن تفخرى بى . ولكن لم أعرف بعد سبب طلاقك .. »

قالت فى حزم :

- « تلك قصة تطول ربما أحكيها يوماً ما .. أما الآن فعليك أن تخبرنى بما حدث لـ (فريال) .. »

على أنه توقف عن الكتابة مدة يومين ..

زارته فى داره فوجدت جهاز الكمبيوتر مضطرباً ولم تجده فى الشقة .
الحقيقة أنه أعطاه المفتاح لتدخل وتخرج متى شئت ، ونظالما تساءلت عن كونها هى بالذات تفعل هذا ، ثم فطنت إلى أنها فى فاتنازيا .. لا توجد طريقة لمتابعة ما يحدث إلا بأن تتاح لها هذه القدرة ..

أين ذهب ؟

قررت أن تفتح الجهاز لترى ما هنالك .. ليس هذا تحسناً لأننا فى فاتنازيا كما قلنا ..

وجدت ملفاً جديداً على سطح المكتب .. ملفاً يحمل عنوان (أغنية) ..

فتحت الملف فطلعتها أسوأ محاولة لنظم قصيدة غنائية فسبقتها فى حياتها . كانت مجموعة من مقاطع ملفقة من عدة أغاني لشعراء كبار لا شيء يند عن موهبة أو براعة .

وملذا عن القصة ؟

فتحت ملف القصة لتعرف ما حدث لـ (فريال) فوجدت أن هذه الأخيرة ما زالت تواجه مشاكلها مع (الأخوية) وتحاول إقناع المعرضة بأن تسمح لها بعزف البيانو .

بينو فى مصحة عقلية مصرية " يبدو الأمر غريباً .. لكن من يدري ؟ بالتأكيد هناك واحد ..

هذا الأحق لم يصف حرفاً للقصة منذ يومين ، وانهمك فى كتابة أغاني رديئة ..

غدرت الشقة مفضبة ، ونزلت فى الدرج فقط لتسمع صوت (عماد) قدما مع عدد من الناس . ربما كن معه لثنان أو ثلاثة .

لم يعد من مقر لذا وقفت حيث هى بينما صعد إلى مكانها (عماد) ومعه شبان . أحدهم له شعر طويل يتدلى على كتفيه والآخر له ذيل حصان طويل ..

هؤلاء من نفسائين أو المهتمين بالفن .. هذا واضح ..

رأها فصاح فى مرح :

- « (عبير) .. ملهمنى ! أقم لك .. »

طبع لم تذكر أى اسم قيل لها ، لكنهما كانا من خريجي الموسيقى العربية . قال لها (عماد) همسا وهو يفتح باب الشقة :

- « ساطب منك أن تعدى لنا بعض الشئ . أنا أسف هذه المقابلة مهمة لى .. »

- « شأى ثقيل أهتم فيه لقمة خبز محروقة ؟ »

- « ليس لهذا الحد .. ليكن شابا كأى شأى آخر »

هكذا جلس الثلاثة فى غرفة (عماد) يتكلمون . بينما وقفت هى فى المطبخ تحاول تذكر أين ذهب كل شئ .. كانت تمقت إعداد الشأى طيلة حياتها ، وكانت تلحس الموقف لمن يطلب منها إعدادة . « أنا اصنعه أقرب لمنقوع الأحذية . »

لكن الوقت لم يكن مناسباً لهذه التعليقات الآن .

تسمع الجدل الدائر فى غرفة (عماد) وأحد الجالسين يقول :

.. « اذن سوف نتج هذا على نطاق واسع »

يقول (عماد) فى حماس :

- « لقد درست الفكرة جيدا طيلة الأشهر الستة الماضية . لا توجد ثغرات .. فقط عليكم أن تجربوا .. »

عادت حاملة الشأى على صينية مهشمة متسخة إلى غرفة الكمبيوتر . كن الفنانان جالسين على الأرض فوق بساط رث ، بينما جلس (عماد) على المقعد المواجه للكمبيوتر وعيناه تلمعان فى حماس . والعرق يسيل منه بفزارة ..

لما دخلت سألها :

- « أنت تعرفين الآلة الموسيقية التى اخترعتها .. أليس كذلك ؟ سوف نتجها على نطاق تجارى واسع بمساعدة هذين العقريين .. »

قال أحد العقريين المذكورين :

- « نحن لم نر إلا رسمها . تقول إنهم ستكون خليطاً من الجيتار والعود والقانون . أضمن لك رواجها بشرط أن تكون جيدة فعلا .. »

ما هذا الكلام الفارغ ؟

قامت الشئى لكل واحد فى يده ، ثم قالت فى صبر ، وهى تمسح قاع الصينية المبتلة فى ثوبها :

- « آية آة موسيقية ؟ لم أعرف أنك مهتم بالموسيقا على الإطلاق .. »

اتسعت عيناه تهديدا بما معناه (ليس الآن يا حمقاء) وقال :

- « انت لم تكونى معى منذ فترة . إن الموسيقا هى حياتى وتسرى فى عروقى كلهم . هذه الآلة سوف نجعلنا ملونيرات .. »

هذا هو كل شئ . الداء الذى لا ينوى التخلص منه أبداً .. داء البدء فى شئ جديد كل لحظة . داء إلقاء بذور الماتجوثم عدم

الانتظار حتى تنمو .. بل الانتقال فوراً إلى حقل آخر يبذر فيه بذور العنب .. فى كل لحظة هناك مشروع جديد . لفة برج الجوزاء الأبدية ..

وبعد كل هذا ليست الموسيقى لعبة .. إنها علم قائم بذاته . أن تزعم أنك ابتكرت آلة موسيقية جديدة لهى جراءة تبلغ مبلغ الجنون ، ولهذا لم يصدق هذان الشابان أن هناك كذبة بهذا الحجم ..

لما انصرفا أخيراً على وعد باجتماع آخر ، وثقت جوار الكمبيوتر تنظر له فى ثبات ، ثم قالت :

- « (عماد) . لقد تحولت أمس إلى شاعر غنائى واليوم صرت موسيقياً ومخترعاً .. غدا تقرر أنك خلقت لتكون جراح مخ وأعصاب .. »

نفث سحابة كثيفة من الدخان ، وقال فى حماس :

- « لا تمزحى يا (عبير) . أنت لا تعرفين كم أعشق للموسيقى »

- « كما عشقت اللغات الأجنبية والرواية و (غيداء) .. »

ثم قالت فى لهجة مرعبة :

- « (عماد) .. افتح الكمبيوتر واستكمل روايتك . ودعك من

هذا الهراء ! »

تلاقت العينان لفترة ، ثم خفض بصره وقال فى ذلة :

- « ليكن . لقد نسيت أننى فاشل يلمس للذهب فيصير نحاساً . »

ثم دفن لفافة التسع التى يحملها فى بقية كوب الشاي .

- « أقسم بالله العظيم ألا تلمسك شفتاى ثانية ' »

ومد إصبعه بضغط زر فتح الكمبيوتر ..

فى المساء قرر (عماد) أن يصير خبير شطرنج وأحد أساتذته العالميين .

زارته فى الصباح فوجدت أنه وضع رقعة شطرنج كبيرة (بعض القطع مفقود لذا استعمل قداحة بدلاً من الملك الأسود ، ومبراة بدلاً من الحصان الأبيض) وجوار الرقعة عدة كتب شطرنج من التى تصف الصراع العنيف بين (ب3 فو) و (ب4 رم) ..

هذه هى الهواية الجديدة إذن . لا تريد أن تتحول إلى أم أو معلقة تطارده كتب أهمل الاستذكار ، لكنها فى الوقت ذاته تكره أن تراه يبدد شىء الوحيد الذى بدأ يحقق فيه شيئاً .

هكذا أمسكت بالشطرنج والكتب ووضعت كل شىء فى كيس بلاستيكي تخلّصت منه فى القمامة ..

من المرعب أنه لم يعلق عندما جاء من الخارج ..
لم يتسائل ..

لقد نسي الأمر برمته وانهمك في شيء آخر . كأنه لم يقرر
أن يكون أستاذ شطرنج ليلاً ، وحتى وجود شطرنج قد نسيه .
جلس إلى شاشة الكمبيوتر . وواصل الكتابة

15- صدمة في الحمام ..

كان د (عصام) مدير المستشفى غارقاً في خواطره الكئيبة .
لم يشعر قط بأنه يفعل شيئاً مهماً للمجتمع .. السجون تعلم
للسجناء ارتكاب الجرائم ، والمستشفيات العقلية تعود المرضى على
عالم غير حقيقى يمارسون فيه كل شيء ، ولا يتحملون مسئولية ..
لهذا تكون أسوأ لحظات حياته عندما يعود المرضى لذويهم ..

كان لديه مخرج واحد لمشاكله هو أن يجد علاجاً للجنون ..
هذا هو الشيء الوحيد الذى يمكن أن يعيد احترامه لنفسه .

كن يعتقد ان مسبب الجنون مادة كيميائية أطلق عليها اسم
(فيتيرول) . وقد قدمت له السماء فرصة لا تعوض بحالة تلك
الفتاة (فريال) التى حاولت الانتحار ..

لقد قبل ابويها أمر . وقالاً إنهما لم يدخرا شيئاً من أجل
جعلها سعيدة . ككل أبوين لمجنون كاتا يزعمان هذا ، وكان
يعرف أن الجرعات العالية من السعادة تجعل الناس عاجزين عن
التعامل معها .

(الفيتيرول) مادة سامة يصنعها العقل البشرى فى الأحوال
الضعيفة .. وهو يؤمن أن أباطرة الرومان وال (بورجيا) كانوا
يعرفون كيف يحصلون على هذا السم نقيًا ، ويقدمونه للضيوف ..

فيما بعد عرف الناس كيف يقتلون بعضهم بالعدسات . لكن ذكرى هذا السم ذى المذاق المر طنت فى الأذهان لهذا يشعر المرضى النفسيون بالمرارة ..

سرعان ما يفقد المريض الرغبة فى الحياة فى المقاومة ..

كان هو يحقن (فريال) سرا بمادة اسمها (فتول) تسبب لها أعراض الذبحة الصدرية . وكان هذا ضمن تجربة يريد البرهنة عليها . الشعور باندو من الموت يغرينا بالمقاومة .

لكنه كان يعرف يقينا أن قلب الفتاة سليم ولم يتأثر بالعقارات ..

من الغريب أن (عبير) اندمجت مع القصة لهذا الحد .

كانت تعتبر نفسها مدربة كأي ناقد كتب محترف على قراءة أى شيء وعدم الانفعال به ..

لكن هذه القصة هزتها بشكل ما ، وشعرت بالتمهي مع (فريال) . (فريال) الوحيدة البائسة التى سنمت الحياة ، ثم أدركت أنها لا تريد الموت لكن بعد فوات الأوان .

لكن هذا الأحق لا يواظب على الكتابة ..

أمس غادر البيت فى ساعة مبكرة ولم ترده حتى المساء ، وفى النهاية وجدت مجموعة من المذكرات ملقاة على الأرض .

(قواعد بيانات لوراكل وتطبيقاتها) ١

كانت تعرف هذا الموضوع من زوجها السابق .. معنى هذا أن هذا المخبول قد قرر أن يكرس حياته لدراسة الكمبيوتر ..

فوجئت به عائداً إلى الدار وفى يده لفافة تبغ . لفافة تبغ يدخلها بعد ما أقسم للمرة الألف أنه لن يلمسها ..

الحق أنها شعرت بقدر من الشفقة .. كلنا نحمل فى أعماقنا جزءاً من (عماد التونى) .. كلنا نحلم بالكثير مما لا نقدر على تحقيقه لأننا لا نعرف أنفسنا جيداً .. والفارق بين ما تصورناه عن أنفسنا والحقيقة مرعب ..

قال لها فى جزع وهو يدفن لفافة التبغ تحت حذائه .

- « لم أعرف أنك هنا .. »

قلت فى ضيق :

- « أتبع مدى تقدمك فى قواعد البيانات . »

قال فى حماس بانع السيارات المستعملة :

- « لا تتصورى كم يكسب من يحددون هذه القواعد إن دول

الخليج تتخطفهم .. »

- « تتخطفهم بعد دراسة أسبوع ؟ »

وأمسكت بأول كتاب كان ضخما يذكر بالكمود جوار فراشك ورق براق . كلام دقيق . لغة إنجليزية لعينة كما توقعت كانت هناك خطوط على أول صفحة بعدها صارت الصفحات نظيفة تمام .

قلت دون أن تنظر له

« سادخل الحمام .. »

قال دون أن ينظر لها كذلك :

« سأخرج لأجلس على المقهى بعض الوقت »

هناك في الحمام وثقت تحديق في المرأة فوق الحوض بعض الوقت ..

الحق أنها بدأت تكره نفسها لقد صارت ممنة مزعجة لحوحا لكنها ما زالت تعتقد أنها قليلة على مساعدته شدة ما تمقت وجهها المتعصب الزوج في المرأة لابد أن الفتى صار يكره رؤيتها فتحت الصيدلية بحثا عن أى نوع من المسكنات .

كانت هناك علب مغرية الشكل كتب عليها (نغاع) علب من أقراص النغاع . مدت يدها تفتحها . وقد تداعت لديها ذكريات طفولة محببة ، ففوجئت أن ما بها ليس تلك الأقراص عطرة الراححة .. هذه كبسولات جيلاتينية ..

لماذا يحتفظ بها هنا ؟

وجدت الحواب على الجانب الآخر من العلب . شريط لاصق صغير ثبته هناك . وكتب عليه بخطه الأنيق (ترائسين المكان الجديد) ..

ما معنى هذا ؟

لماذا لم يحتفظ بالمهدى في علبته ؟

لمسب بسيط . هو أنه اهرغ العلبه ووضعها على الأرض جواره عندما (انتحر) . كان يريد أن تدخل الحمام لتجد علبه فرغة تحمل اسم المهدى جواره على الأرض . بالطبع لم يتخلص من بقى عنده من كبسولات واحتفظ بها في علبه الخلوى ..

كان يمثل ..

كل هذه المسرحية والشاي الثقيل والحبز المحترق كانت لإثارة اهتمامها أو شفقتها ..

حتى الانتحار فشل فيه أو زيفه تزييفا !

كان يخدعها وقد سقطت في شرك بغواء .

وقفت في وسط الغرفة الضيقة تتأمل كل شيء ..
المكتبة التي ازدحمت بالكتب .. الجدران المصفرة .. شاشة
الكمبيوتر .. وأقى الشاشة الذي تنهمر الشلالات فوقه ..
لقد عجزت عن معاونة هذا الفتى .. كانت أمها تقول لها إن
الرجل هو :

- 1 - شيء مكسو بالشعر وتنبعث منه رائحة التبغ ..
 - 2 - قابل للإصلاح مهما كانت طباعه قذرة سيئة منحطة ، لكنها
لم تسمع قط عن رجل كذوب أو بخيل تم إصلاحه ..
 - 3 - لا توجد ملاحظة ثالثة ..
- لا توجد طريقة لإصلاح الكذب ، ومن الغريب أن حكمة أمها
البدائية هذه التفتت مع نصيحة مماثلة لعالمة اجتماع أمريكية
قرأت رأيها في مجلة ما ..

(عماد) ليس كنوباً .. إنه فقط خفيف الطبع لا يعرف حقيقة نفسه ..
ربما كان قابلاً للتبدل .. من يدري ؟

اتجهت إلى المكتبة وراحت تتأمل الكتب .. كما كانت تتوقع
معظم هذه الكتب لم يفارق موضعه منذ دهور .. (عماد) يكذب
الكتب لأنه سيقروها يوماً ما عندها بصير مثقفاً فعلاً ..

لكنه لا يفعل هذا أبداً ..
لا يوجد وقت ولا بال رائق ..
هناك كتاب متوسط السمك يبدو في مستوى أعلى من الكتب
المجاورة ، ويبدو أنه يُسحب من المكتبة أكثر من سواه ..
ماذا أثار انتباهه في هذا الكتاب بالذات ؟

تساولت الكتاب وقد قررت أن تعيده إلى موضعه بالضبط كي
لا تزيد شعور الفتى بأنه مراقب ..
العنوان هو (فيرونیکا تقرر أن تموت) ..

قصة لأديب برازيلي شاع ذكره منذ عام أو عامين هو
(بلونو كويليو) ..
لماذا يهتم بهذه القصة بالذات ؟

فتحت الصفحة الأولى وبدأت تقرأ .. تقرأ عن الفتاة
السلوفاكية (فيرونیکا) التي قررت أن تقتل نفسها بالأقراص
المنومة .. وراحت تتسلى بقراءة مقال كتبه (كويليو) نفسه عن
(أين تقع سلوفانيا) بالضبط ؟

لكن (فيرونیکا) لم تمت .. نقلت لمستشفى الأمراض العقلية و ...
هذا الكلام يبدو مألوفاً .. أين قرأته من قبل ؟

ثم نظرت إلى العنوان .. لهذا اختار اسم (فريال) .. لأنه أقرب اسم وجدته لـ (فيرونیکا) .. خياله لم يجد اسمًا مستقلًا بعيدًا عن الاسم الأصلي ..

الأديب المحترم (عماد التونى) قام بنقل رواية الأديب المحترم (باولو كويليو) حرفيًا واكتفى بتغيير الأسماء ونسخها على الكمبيوتر ..

كل ساعات التفكير ..

كل الإرهاق الذهني والصراع ..

كل الطعام الذى التهمه على حسابها ..

كل الدموع التى ذرفت بها وهى تطالع القصة على شاشة الكمبيوتر ، حتى أصيبت بالتهاب الملتحمة ..

كان بوسعها أن يعطيها الكتاب ويريحها ..

والغريب أنه مجنون .. لا أحد يسرق قصة لـ (كويليو) الذى سلطت عليه كشافات الاهتمام الإعلامى .. الذى جاء إلى القاهرة كي يحصل على مستحقاته عن رواية (السيميائى) .. لا أحد يسرق من (كويليو) وينجو بفعلته هذه ..

لم تنتظر أكثر ..

لقد انتهت أربع وعشرون ساعة فى حياة امرأة ، ووجدت أن خير ما يمكن عمله مع هذا الطراز من البشر هو تركه .. إنه هو أشنع عقاب لنفسه ..

تركت الكتاب مفتوحًا جوار الكمبيوتر ليراه بوضوح عندما يعود .. وإن قدرت أنه سيكون مشغول الذهن بـستوديو التحريك الذى ينوى إنشائه .. ستوديو تحريك أو فرقة غنائية أو جمعية لاستعادة رأس (نفرتيتى) ..

أغلقت باب الشقة ..

ولم تدرك أنها تبكى بحرارة إلا عندما سال المخاط على ياقة ثوبها ..

عندها وجدت يد المرشد تمتد لها بمندبل ..

قال وهو يتسم :

- « للمرة الأولى منذ زمن لم آت لك وأنت تقفين جوار جثة محتضر ! »

قالت وهى تسمح أنفها :

- « من قال العكس ؟ هذا مشهد وفاة آخر .. »

- « هل عرفت القصة التى أنت فيها ؟ »

- « للأسف عرفت .. لقد عثت في العوالم الساحرة لشخص
بلا موهبة .. »

وفي الخارج كانت العاصفة تشتد ..

لم يكن هناك قطار ، وقد تساءلت عن مصير جهاز الكمبيوتر
في هذه اللحظات ..

تري ماذا حدث له ؟ ماذا سيحدث له ؟

هناك أكثر من أسطول غارق في التاريخ .. هناك أسطول بونابرت
الذي غرق عند سواحل (أبو قير) و (الأرمادا) الأسبانية وأسطول
(كليوباترا) الذي دمر في موقعة (أكتيوم) .. لكننا في القصة
القادمة نتحدث عن أسطول عملاق لدولة عظمى دمرته طائرات
(زيرو) اليابانية على سواحل أجمل جزر المحيط الهادي .

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

فانتازيا

اللفز

أن تقرأ كتاباً تمرق غلافه ..

أن تشاهد فيلماً سينمائياً لم تر ملصقاته ولم تر عناوينه ..
أن تحضر محاضرة لا تعرف موضوعها ولم تر عنوانها على
لوح الكتابة .. إنه لفرز ...

هذا وضع غير عادل .. لقد وجدت (عبير) نفسها في قصة تلو
قصة تلو قصة ، دون أن تملك أدنى فكرة عن مكانها في مملكة
الأحلام .. وعندما عرفت السبب ، وتذكرت كيف وجدت نفسها
في هذا المازق ، كان عليها أن تواصل اللعبة ، وأن تكون ملهمة
كاتب بلا الهام .. هي ليست قصة معنادة .. إنها لفرز ..



د. محمد خالدي الزنوني

العدد القادم
يوم احترق الأسطول

المؤسسة
العربية للطباعة

طبع وتصميم في القاهرة - مصر

التمن في مصر 300
وما يعادلها بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

